

مُلْتَقَى الْعُلَمَاءِ  
لِنَصْرَةِ  
خَانِجِ الْأَنْبِيَاءِ



# المشروع النبوي

في المواطنة وبناء مجتمع السلم

د. أحمد عامر الدليمي

أريدي ARID

إصدارات منصة أريد



# المشروع النبوي في المواطنة وبناء مجتمع السلم

الأستاذ المساعد

الدكتور أحمد عامر الدليمي

جامعة الموصل - كلية التربية للبنات

dr.ahmed.amer@uomosul.edu.iq

009647704476097

كتاب مُقدّم إلى المسابقة العلمية

الخاصة بـ (ملتقى العلماء لنصرة خاتم الأنبياء)

2020م - 1442هـ





## جدول الفهرس

7	المقدمة
9	المدخل: تحديد المفاهيم
9	المواطن، المواطنة، الانتماء، الهوية.
9	المواطن
9	المواطنة
11	الانتماء
12	المواطنة والانتماء والتنمية:
14	الهوية:
15	الهوية وامتداداتها :
18	<b>الفصل الأول: المواطنة والانتماء</b>
18	دوائر الانتماء وتعزيز القيم
18	المبحث الأول : المواطنة وتعزيز قيم الانتماء
18	المبحث الثاني: المواطنة ودوائر الانتماء
18	المبحث الأول
18	المواطنة وتعزيز قيم الانتماء (قيمة التعايش أمودجاً)
21	مقومات التعايش بين المختلفين في العقيدة والجنس:
22	الإسلام ينمو في ظروف التعايش:
23	مقابلة بين مجتمعين مختلفين مندمجين في وطن واحد:
25	التعايش ودروسه في مبادرات الرسول في صلح الحديبية:
28	المبحث الثاني
28	المواطنة ودوائر الانتماء
28	المواطنة التي يدعو إليها ديننا:



- 28 قاعدة: (لا إكراه في الدين):
- 32 المساواة بين الناس واستقلال القضاء:
- 33 حق المواطنة مكفول في الإسلام:
- 33 الهوية الإسلامية صورة من صور العملة الحضارية الضامنة للحقوق:
- 34 ما مظاهر العملة وماذا تعني؟
- 35 المواطنة والأقليات وفقه الأقليات:
- 36 إشكالية الإسلامية والوطنية:
- 39 الفصل الثاني: النظرية النبوية في المواطنة وبناء الدولة**
- 39 النظرية النبوية:
- 40 لماذا (النظرية)؟
- 41 مثال لإقرار النبي لخلق من أخلاق العرب قبل الإسلام:
- 43 المبحث الأول
- 43 النظرية النبوية في المواطنة - وثيقة المدينة أمودجا-
- 45 الإنسان هو المتغير الوحيد:
- 47 الرسول ونظامه للدولة:
- 49 ظاهرة الأمن والسلم المجتمعي:
- 51 أسلوب التنوية المجتمعية:
- 55 استكمال مقومات الدولة:
- 56 الاستخلاف والإنابة عن رسول الله في إدارة أمور الدولة:
- 59 البناء الداخلي للدولة:
- 60 وظائف الدولة في المدينة:
- 66 أهم مؤشرات بناء الدولة العادلة: المساواة وحقوق الانسان:
- 67 المساواة في وثيقة المدينة:



68	حقوق الانسان في وثيقة المدينة:
70	دوائر وحلقات مجتمع المدينة:
71	القضاء في دولة المدينة:
72	وثيقة المدينة كمصدر للقانون والقضاء:
74	المبحث الثاني
74	النظرية النبوية في بناء الدولة
74	تأسيس الأمة في وثيقة المدينة:
76	دولة الرسول ﷺ في المدينة فتحت المجال لتلاقي الشعوب والقبائل:
77	تعامل الدولة الإسلامية مع القبائل يؤسس لمفهوم المجتمع المدني وإقامة مؤسسة (الأمة):
78	نُظُم الدولة:
83	المبحث الثالث
83	قراءة في الأساليب النبوية التطبيقية
83	ودورها في تحقيق وحدة المجتمع وبناء الدولة
83	أسلوب (التحويلية) وأسلوب (التنوية المجتمعية) أنموذجاً
85	أهم الأسس الادارية لبناء الدولة بحسب أسلوبي (التحويلية- التنوية) المجتمعية:
85	الجوانب الإدارية التي تضمنتها وثيقة المدينة وأهميتها في بناء الدولة:
92	قيادة الدولة:
94	<b>الفصل الثالث: رؤية نهضوية</b>
94	حول إقامة مشروع مواطنة في إدارة الأزمت
94	-مدينة حاضنة للاعتدال أنموذجاً-
95	المبحث الأول
95	الرؤية اللازمة لمنظومة المشاريع
95	الرؤية اللازمة لتقديم أي مشروع:



- 97 حول طبيعة المشاريع الناجحة:
- 98 المواطنة مظلة المشروع النهضوي:
- 98 مكونات المشروع النهضوي:
- 98 مشروع الهوية الوطنية:
- 99 يمكن الوقوف على محورين لمركزات المشروع النهضوي هما:
- 103 قيمة التسامح:
- 115 المبحث الثاني
- 115 مجموعة مشاريع نهضوية منوعة
- 115 أولاً: إعادة هيكلة المساجد (الأئمة والخطباء) :
- 115 ثانياً: الإعلام التربوي في ترسيخ القيم والهوية:
- 116 ثالثاً: برنامج الكفاءة للتعين في دوائر الدولة :
- 116 رابعاً: تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وتوحيد جهودها:
- 117 خامساً: اعتماد آلية استنساخ بعض المشاريع الناجحة على العديد من المؤسسات:
- 118 سادساً: مؤسسة الدعم النفسي :
- 118 مشروع كن مواطناً صالحاً لهذا العام :
- 120 حول مشروع واعد لتنمية الشباب وحماية الهوية:
- 123 الخاتمة
- 123 الاستنتاجات والتوصيات
- 123 الخاتمة: الاستنتاجات والتوصيات:
- 123 أولاً: الاستنتاجات:
- 126 التوصيات:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ..

وبعد..

الانسان محور الحياة، وطاقة التجدد والبناء، وهو فلسفة الوجود كله، خلقه الله مكرماً، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الاسراء: 70]؛ أعطاه الله القدرة من بين المخلوقات كلها على أن يحيى في وطن، يقر له بكل مشاعر الحب، ويحفظ له كل مكونات الكرامة، يقضي حياته معه منافحاً مدافعاً لا يكل ولا يمل، يمتلك تجاه وطنه طاقة إيجابية كامنة يعيش بها؛ هي واحدة من أسرار الوجود البشري، وبها يُعرف بين أقرانه؛ تستلهم منها الأجداد والمآثر، وترقى بها الحضارات والمدنية، وتنمو بها العلاقات الاجتماعية؛ وتتفعل من خلالها كل مغريات النمو والرقى والحضارة؛ إنها (المواطنة).

في هذا الكتاب الذي جعلناه تحت عنوان: (المشروع النبوي في المواطنة وبناء مجتمع السلم)، تضمن مدخلاً وثلاثة فصول، تناولنا تعريفات المصطلحات في مدخل موسع لبيان مصطلحات (المواطن، المواطنة، الانتماء، الهوية). أما الفصل الأول فقد كان بعنوان: المواطنة والانتماء - دوائر الانتماء وتعزيز القيم، في مبحثين موسعين: الأول بعنوان: المواطنة وتعزيز قيم الانتماء-قيمة التعايش أنموذجاً-، والمبحث الثاني بعنوان: المواطنة ودوائر الإنتماء، أما الفصل الثاني فكان مرتكزاً مهماً من مرتكزات الكتاب ومحوراً رئيساً في موضوع المواطنة؛ جعلناه بعنوان: (النظرية النبوية في المواطنة وبناء الدولة)؛ فتوسعنا من خلاله في بيان معاني المواطنة النبوية، وكيف أسس رسول الله ﷺ لتلك المعاني والقيم في مبادرة أصيلة وأولى من نوعها (عالمياً) في إقامة دولة متحضرة كانت هي الأنموذج الأول في المجتمعات البشرية. واندرج الفصل في مبحثين اثنين: الأول بعنوان: (النظرية النبوية في المواطنة- وثيقة المدينة أنموذجاً)؛ إذ تم الكشف من خلاله عن نظرية التنوية المجتمعية؛ التي تعد أسلوباً نبوياً في تجميع فئات المجتمع جاء على مستويات عدة وتدرج



زمني، واعتمد أسلوب الاستقطاب الفكري أو الإقناع الفكري؛ إذ انبنى ذلك الإقناع الفكري في مستواه الأول على قضية السلم المجتمعي وتجسد ذلك في تحقيق السلم بين الأوس والخزرج ، وارتكز إلى القيم الدينية في مستواه الثاني بين المهاجرين والأنصار، وجاءت وثيقة المدينة لتؤسس للمستوى الثالث من وحدة المجتمع ، وهي تؤسس في هذا المستوى مفهوماً جديداً يقدم للقادة والرؤساء فيما بعد قاعدة رسيخة في حرية الأديان والتعايش بينها ، وكان هذا التكتل المجتمعي بين المسلمين ويهود المدينة. أما في مستواه الأخير؛ فقد ضم المشركين في المدينة إلى المسلمين واليهود فيها ؛ وجمعهم في ذلك مفهوم المواطنة فصار أهل المدينة جميعاً مواطنون صالحون، وهكذا تكتل المجتمع المدني حول نواة واحدة. وتناول المبحث كذلك قضية مهمة هي الاستخلاف والابانة عن رسول الله ﷺ ، وكيف أسس الرسول ﷺ قادة للمجتمع في كل أمور الحياة ، يمكن أن يديروا دولته حال غيابه أو بعد وفاته ، وجاء المبحث الثاني في الفصل الثالث بعنوان (النظرية النبوية في بناء الدولة) ؛ إذ عرض للروابط الاجتماعية ، ولعل أهمها رابطة الأمة ، وبيان أهمية النظرية النبوية في التحويل والنظرية النبوية في التونية والتجميع ودورها في تحقيق وحدة المجتمع ، وبيان تنظيمات الدولة وأهم الأسس لبنائها بحسب نظريتي (التحويلية - التونية) المجتمعية. أما الفصل الثالث والأخير فهو بمثابة محاولة عملية تطبيقية لإنزال مفهوم المواطنة على هيئة مشاريع منقذة للمجتمعات التي تعرضت في الآونة الأخيرة إلى محاولة تفكيك واستهداف من داخلها ، فجاء الفصل بعنوان: بعنوان: (رؤية نهضوية حول إقامة مشروع مواطنة في إدارة الأزمات- مدينة حاضنة للاعتدال أنموذجاً). فهو بمثابة محاولة جادة لتفعيل المواطنة في ظروف الأزمات الكبرى التي تحدث في البلاد وجعله محوراً رئيساً وهاماً في التأسيس لكافة مشاريع الانقاذ البشري؛ إذ تكوّن من مبحثين: الأول بعنوان: الرؤية اللازمة لمنظومة المشاريع، والثاني بعنوان: مجموعة مشاريع نهضوية منوّعة. وأخيراً فقد ختم البحث بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.



## المدخل: تحديد المفاهيم

المواطن، المواطنة، الانتماء، الهوية.

### المواطن

المواطن هو اللبنة الأساسية في أي مجتمع من المجتمعات بغض النظر عن طبيعة هذا المجتمع ومواصفاته، وبدون المواطن لا يمكن الحديث عن الوطن<sup>(1)</sup>، فالمواطن هو المحور الذي تدور حوله مفاهيم المواطن والمواطنة وتتنوع بتنوع تفكيره وأسلوب حياته وعقيدته ورفقيه وحضارته، وهذا المعنى ينعكس مباشرة على مفهوم الوطن والمواطنة، "وتبرز هذه الأهمية بصورة أوضح في المجتمعات التي تسير على النهج الديمقراطي"<sup>(2)</sup>، أو الدول التي تمتلك حضارة إنسانية قائمة على احترام الإنسان لذاته كونه إنساناً مكرماً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء: 70]، إذ تعمل السلطة السياسية التي يتم انتخابها من قبل المواطنين أنفسهم على تنظيم وإدارة حياة المجتمع بالشكل الذي يحقق مصالح الغالبية العظمى منهم، ويوفر لهم كافة الأساليب والوسائل التي تمكنهم من العيش بكرامة ورفاهية<sup>(3)</sup>.

### المواطنة

المواطنة في اللغة: تعني وضعية أو صفة المواطن<sup>(4)</sup>؛ فهي حالة المواطن من حيث ارتباطه بالوطن، وتعني كذلك عضوية في جماعة أو مجتمع، له صفة الاستجابة الفردية نحو المشاركة في هذا المجتمع<sup>(5)</sup>. فهي

(1) ينظر: رؤية مقترحة لإعادة تشكيل المواطنة في العراق الجديد، د.عبير سهام مهدي، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية العراقية، 2010م، الصفحات: 97-107، ص 99.

(2) م.ن.، ص 99.

(3) ينظر: رؤية مقترحة لإعادة تشكيل المواطنة في العراق الجديد، ص 99.

(4) Webster's ninth new collegiate dictionary, Merriam Webster Inc publishers, spring field, Massachusetts, USA, 1986, P. 1243.

(5) ينظر: م.ن.، ص 1243.



التفاعل من قبل الفرد تجاه جماعته أو مجتمعه. أما اصطلاحاً: فتعني صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته، وتتميز المواطنة بولاء المواطن للبلاد وخدمته والتعاون مع الآخرين وتحقيق الأهداف الوطنية والقومية للدولة، كما تتضمن مستوى عالٍ من الحرية مصحوباً بالعديد من المسؤوليات (6).

ولعل الربط بين المواطنة كمفهوم وبين الحقوق والواجبات أو المسؤوليات والالتزامات هو من صميم القضية، فالمواطنة شعور وجداني بالارتباط بالأرض وأفراد المجتمع الآخرين الساكنين على تلك الأرض، وهذا الارتباط تترجمه مجموعة من القيم الاجتماعية والتراث التاريخي المشترك، ومن ثم فإن المواطنة هي جذر الهوية الاجتماعية وعصب كينونتها(7).

وهناك من عرف المواطنة بأنها مجموعة صفات المواطن الذي يتمتع بحقوقه تجاه وطنه، ويلتزم بواجباته التي يفرضها عليه انتماءه لوطنه، فهي علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي ومجتمع سياسي (هي الدولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم المواطن الولاء لدولته وتتولى الدولة مهمة الحماية وضمنان الحقوق بأشكالها كلها، وتُحكَم هذه العلاقة بين الشخص والدولة بالقانون، الذي يركز بدوره إلى مبدأ المساواة (8). كما تعني المواطنة أيضاً ارتباط مجموعة من البشر بعلاقات الانتماء والولاء للوطن(9). وتعني المواطنة كذلك حب الفرد لوطنه وانتمائه إليه شعوراً وعملاً وتفانياً، والتزامه بمبادئه وقيمه وقوانينه، فضلاً عن الإسهام الإيجابي في حل مشكلاته. ويتسع معنى المواطنة ليشتمل التعلق بالبلد والانتماء إلى تراثه التاريخي ولغته وعاداته.

فالمواطنة حقوق وواجبات، وهي أداة لبناء مواطن قادر على العيش بسلام وتسامح مع غيره على

(6) ينظر: معجم مصطلحات التربية لفظاً واصطلاحاً، أحمد عبد الفتاح الدكي، وفاروق عبده فولية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 11.

(7) ينظر: برنامج مقترح لتدعيم إسهام مراكز الشباب في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، د.هاني جرجس عياد، 2016 : <http://www.swmsa.net>.

(8) ينظر: قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 56-57.

(9) ينظر: برنامج مقترح لتدعيم إسهام مراكز الشباب في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، د.هاني جرجس عياد، 2016 : <http://www.swmsa.net>.



أساس المساواة وتكافؤ الفرص والعدل، وقصد المساهمة في بناء وتنمية الوطن والحفاظ على العيش المشترك فيه<sup>(10)</sup>. وقضية قصد المساهمة تظهر على هيئة عمل وتحرك إيجابي وإنجاز يخدم الوطن والمصلحة العامة.

## الانتماء

الانتماء في اللغة: صلة وعلاقة Relationship أو مزاملة ومرافقة أو تداعي المعاني والخواطر Association أو انضمام واندماج أو اتباع أصل الشيء Affiliation<sup>(11)</sup>. أو هو ارتفاع الشيء (الطائر ونحوه) عن موضعه إلى الجبل، الصعود والارتقاء، أو الانتساب إلى كذا<sup>(12)</sup>.

يعد مفهوم الانتماء الوطني من المفاهيم العالمية المهمة في عالمنا المعاصر؛ بل أصبح مفهومًا رئيسًا في حياتنا العامة. كما عرف البعض الانتماء اصطلاحًا بأنه الانتساب الحقيقي للدين الإسلامي والوطن فكرًا ومشاعر ووجدانًا واعتزاز الفرد بالانتماء إلى دينه من خلال الالتزام بتعاليمه والثبات على منهجه وتفاعله مع احتياجات وطنه وتظهر هذه التفاعلات من خلال بروز محبة الفرد لوطنه والاعتزاز بالانضمام إليه والتضحية من أجله<sup>(13)</sup>.

أما الانتماء هو العلاقة الايجابية والحياتية التي ترتقي إلى العطاء والايثار والتضحية، ويتجلى الانتماء بصورة عالية عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي، وأرقى أنواع الانتماء هو الانتماء المنطقي الناتج عن المعرفة وإعمال العقل<sup>(14)</sup>؛ لأنه يتشكل عن قناعة تامة وتوافق بين العقل والعاطفة وانسجام في الحياة وراحة في النفس.

(10) ينظر: المواطنة-جمعية المشعل للثقافة والفن، محمد شحمان.

(11) ينظر: قاموس المورد، بعلبكي: 2002.

(12) ينظر: قاموس لاوس، الجُر، 1973، ص173.

(13) ينظر: قراءة في مفهوم الانتماء الوطني، د.عبد الله بن ناجي آل مبارك، جريدة الرياض.

(14) ينظر: الحوار المتمدن-المجتمع المدني، فتحي سيد فرج، العدد 1588، 2006.



أما العلاقة بين الانتماء والانسان فهي علاقة ترابط وتلازم بينهما فأينما وجد الانسان وجد الانتماء مع اختلاف المستوى والعلاقة ؛ إذ "يتنوع فيها التلازم (الانتماء) بتنوع العلاقات الانسانية في مكان وزمان محددين ، فهو ظاهرة إنسانية قُدمى يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني نفسه ، والانتماء إلى الأصل المشترك ، هو الأول والأكثر أصالة في تاريخ الانسان"<sup>(15)</sup>.

**والشعور بالانتماء:** هو الطاقة المتولدة داخلياً عند الأفراد والمجتمعات التي تعد هي الوقود الحي لحلقات الانتماء كلها.. وهي طاقة كامنة تتولد من تفعيل المواطنة فيكون بذلك للدولة والحكومة الدور الكبير المباشر وغير المباشر في توليدها والحفاظ عليها في عقول وصدور المواطنين. ومن جانب آخر يغذي هذا الشعور عوامل من أهمها الدين ، ويتفاعل معها طفلاً وشاباً ورجلاً ، كما يغذي هذا الشعور إلى جانب الدين اللغة والثقافة والعادات والتقاليد ، أو قل التراث القديم والحاضر ، وبمجموع ذلك تتكون لحمة الانتماء للأرض أو الوطن الذي يعيشه ، وبهذا الشعور تنمو لديه الإيجابية الذاتية ، فيخلص في عمله بقدر إخلاص حبه وولائه ، أو هكذا ينبغي أن يكون<sup>(16)</sup>.

وأخيراً .. يمكن القول بأن الانتماء هو سر إطلاق طاقة المواطنة لتعمل تلك الطاقة على تفعيل الفرد والمجتمع والحياة بما يحقق المصلحة العامة ، ودون هذا الانتماء لا معنى لطاقة المواطنة ؛ فيظهر في ذلك مقدار الصلة والترابط الكبير بين الانتماء والمواطنة.

### المواطنة والانتماء والتنمية:

المواطنة منظومة من الحقوق الأساسية أهمها: الحق في الحياة، والمساواة، والملكية الخاصة، والتعليم، والرعاية الصحية، والعمل، والضمان الاجتماعي، والفكر، والعقيدة، فضلاً عن الانتخاب والتمثيل النيابي وتكوين النقابات والجمعيات والعدالة وتداول المعلومات والتنقل. والمواطنة هي الإطار القانوني الذي يحدد

(15) الانتماء ومضامينه الدلالية في البيئات الداخلية المعاصرة ، علاء الدين كاظم الإمام ، مجلة الأكاديمي ، جامعة بغداد، الإصدار 68 ، الصفحات 76-97 ، ص 78.

(16) ينظر: الوطن والوطنية في ميزان الشريعة الإسلامية ، أ.د.عجيل جاسم النشمي ، موقع على الانترنت.



العلاقة بين الفرد ودولته وعلاقته بغيره من الأفراد، ويتمثل في مجموعة من الحقوق والواجبات في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وترتبط المواطنة بالديمقراطية بمعناها الواسع، أي أن المواطن له حقوق بغض النظر عن الجنس والعرق أو العمر أو العقيدة. كما أن المواطنة لا تتوقف علي مجرد تعلم الحقائق الأساسية المتعلقة بمؤسسات الدولة وديناميات الحياة السياسية فيها فحسب ، وإنما تتضمن كذلك:

1. اكتساب المتعلم لقاعدة عريضة من المهارات والميول والاتجاهات والفضائل، والولاءات والقيم التي ترتبط ارتباطا وثيقا بممارسة الفرد لأدوار المواطنة.

2. المواطنة بكل ما تشتمل عليه من مفاهيم إنسانية مميزة وصفات قيمة صالحة هي في الحقيقة تؤسس لعلاقات الناس بعضهم ببعض، كما أنها أساس النهوض بالوطن في الجوانب كلها الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية؛ ثم تؤطر كل ذلك بإطار الدفاع عن الوطن وهذه كلها مما يعرف ببوادر نشوء الحضارة الفاعلة المنسجمة مع الحضارات الأخرى، فإنجازات الحضارة تبرز في ثمار الوطنية المغروسة لدى أبنائها، والتي جعلت كل فرد يسهم ويشارك ويكون له دور فعال في هذه الحضارة.

3. المواطنة تستدعي تفعيل مستويات الاحساس والشعور والوجدان، تتمثل في شعور الفرد بالروابط المشتركة بينه وبين أفراد جماعته ، وإحساسه وقناعاته باستمرار هذه الجماعة على مر الزمن ، وتفعيل وجدانه بالارتباط بالوطن وبالانتماء للجماعة، وأن مستقبله يرتبط بمستقبل الجماعة، وأخيرا اندماج هذا الشعور والإحساس والوجدان في فكر واحد واتجاه واحد، والذي يتمثل في المواطنة. وهكذا فإن للمواطنة قيماً تنموية إن فقدتها الإنسان؛ يكون قد فقد الكثير من القيم الإنسانية التي لها دور فاعل في تطوير الذات وتطوير المجتمع على السواء.

وأخيراً نخلص إلى ذكر جملة من العناصر التي يجب تحققها لدى الفرد (المواطن)؛ لتتضح

سمات المواطنة لديه ، يمكن تلخيصها بما يأتي:

**أولاً: الانتماء:** الانتماء للوطن هو الانتماء للشعب بكل فئاته وأرضه، مجسداً ذلك بالتضحية

من أجله، تضحية نابعة من شعوره بحب ذلك الوطن وشعبه.

**ثانياً: الحقوق :** فالمواطنة تضمن حقوقاً يتمتع بها المواطنين جميعهم ، وهي في الوقت نفسه تعد



واجبات على الدولة وعلى المجتمع، منها (توفير الحياة الكريمة- العدل والمساواة - الحرية الشخصية - تقديم الرعاية الصحية والخدمات الأساسية - توفير التعليم ) وغيرها.

**ثالثاً: الواجبات:** ويقابل الحقوق في ثنائية متوازنة واجبات على المواطن التزامها وتفعيلها كمسؤولية أكيدة تجاه المجتمع والدولة منها: (عدم خيانة الوطن - الحفاظ على الممتلكات العامة - الدفاع عن الوطن - احترام النظام).

**رابعاً: المشاركة المجتمعية:** فمن أبرز سمات المواطنة أن يكون المواطن مشاركاً في الأعمال المجتمعية ولعل الأعمال التطوعية هي من أهم وأبرز ما يؤكد المسؤولية الاجتماعية لدى المواطن ، وهذا ما يعكس صلاح المواطنة لديه.

#### الهوية:

يعرف بعض الباحثين الهوية بأنها: "المفهوم الذي يكوّنه الفرد عن فكره، وسلوكه الّذين يصدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي، والاجتماعي، فهي تعريف الإنسان نفسه فكراً، وثقافة، وأسلوب حياة"<sup>(17)</sup>. وتعرف بأنها: "مجموعة العقائد، والمبادئ، والخصائص، والمميزات التي تجعل امة ما تشعر بمغايرتها للأمم الأخرى"<sup>(18)</sup>.

ووفقاً لأمارتيا صن "يمكن أن يقدّم الشعورُ بالهويّة مساهمةً مهمّةً لجعل العلاقة مع الآخرين قويّة ودافئة، مثل الجيران أو أعضاء الجماعة أو المواطنين أنفسهم من أبناء الوطن أو التابعين للديانة نفسها، ويمكن أن يثري تركيزنا على هويّات معيّنة روابطنا، ويجعلنا نفعل أشياء كثيرة بعضنا لبعض، ويمكن أن يساعد في أن نتجاوز حياتنا المتمركزة حول الذات، والأدبيّات التي أُلِّقت في الفترة الأخيرة عن رأس المال الاجتماعي، كَشَفَّت بوضوح كافٍ كيف أنّ هويّةً مشتركة مع الآخرين في الجماعة الاجتماعيّة نفسها يمكن أن تجعل حياة الجميع تسير بشكلٍ أفضل كثيراً في هذه الجماعة، ولهذا يُنظر إلى الشُّعور بالانتماء

(17) ندوة هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق، د.محمد إسماعيل المقدم، مجلة البيان اللندنية، العدد 128، 1998م، ص55 .

(18) تجديد الوعي ، سلسلة الرحلة إلى الذات ، أ.د. عبد الكريم بكار ، ص69-70.



إلى جماعة إنسانية ما باعتباره أحد مصادر الثروة مثل رأس المال<sup>(19)</sup>. وتعد الهوية واحدة من الحلقات الصلبة التي تجمع الأفراد أو المجتمعات على ثوابت وركائز في توافق وانسجام مع الشخصية المجتمعية والفردية.. وهي طاقة عليا تبني الأواصر العامة للمجتمع الواحد. لذا فقد كان الحفاظ على الهوية الوطنية من أكبر اهتمامات الدولة في نظمها وقوانينها وسلطاتها الثلاث متكاملة ، ثم هو شأن المواطنين والمقيمين في الوقت ذاته أن يتحملوا مقابل ذلك في الولاء، والامتثال واحترام الدين والتقاليد والعادات الحميدة التي هي من سمات هويتهم الوطنية والخلقية<sup>(20)</sup>.

#### الهوية وامتداداتها :

**الهوية والتراث:** إن أول ما ينبغي ان نبدأ به ، هو الإشارة إلى ان ثمة ترابطاً وثيقاً بين التراث والهوية . والتراث والهوية عنصران متلازمان من عناصر الذات ، ومكونان متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية. إن كل أمة من الأمم لها تراث معلوم تعرف به ، ولها هوية تتميز بها بين الأمم الأخرى<sup>(21)</sup>. وهو العامل الأقوى لابرز ملامح الشخصية ومحدد مهم لآليات التعامل مع هذه الشخصية؛ والشخصية الأهمية بالتالي امتداد عميق لشخصيات أفرادها.

ومن هذا المنطلق ، فإن فهمنا للهوية يبنى على تراثنا الحضاري ، فالهوية هي ثقافتنا العربية الإسلامية هي الامتياز عن الاغيار من النواحي كافة . ولفظ الهوية يطلق على معانٍ ثلاثة: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي<sup>(22)</sup>.

(19) ينظر: الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، ترجمة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، العدد 352، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2008. ص 18. نقلاً عن: د. فرغلي هارون، رابط الموضوع:

<http://www.alukah.net/social/0/91803/#ixzz45ceSMu6B>

(20) ينظر: الوطن والوطنية في ميزان الشريعة الإسلامية ، أ.د.عجيل جاسم النشمي ، موقع على الانترنت.

(21) ينظر: التراث والهوية (موقع على الانترنت).

(22) ينظر: م.ن.



**الهوية والذات:** وهي بذلك مجموعة الارتباط بين أفراد معينين لتجعل منهم جماعة متماسكة أو مجتمعاً مترابطاً ؛ وأن مجموعة الارتباط هذه هي وحدها سبب التماسك بين أفراد هذه الجماعة.

**الهوية والتاريخ:** وأشار الدكتور نديم البيطار إلى أن "هوية الأمة هي هوية تاريخية ، والتاريخ هو الذي يشكلها"<sup>(23)</sup>. وهذه الرؤية تعكس خصوصية مشتركة بين أفراد المجتمع تميزهم عن المجتمعات الأخرى. فيكون تاريخ الأمة هو مجموعة الارتباط بين أفراد الأمة الواحدة.

**الهوية والجماعة:** لذا فإن تعبير الهوية قد يأخذ أشكالاً ومستويات متعددة كأن تكون فردية أو جماعية وفقاً للظروف السائدة ؛ بل يمكن أن تظهر الهوية في صيغة أو هيئة مؤسسية ، وذلك عندما تنتقل الهوية من وعي فردي إلى وعي مجتمعي ، ومن ثم تجسده في صيغة أبنية وتنظيمات ومؤسسات لأجل خدمة هذه الهوية<sup>(24)</sup>. لكن من الضروري الإشارة إلى أن فشل هذه المؤسسات لا يعني بالضرورة فشل أو انكسار أو تشويه هذه الهوية لأنها بالحقيقة تبقى كامنة بانتظار الظروف الملائم لها للبروز مجدداً وهذا ما أوضحه الدكتور علي الدين هلال بقوله<sup>(25)</sup>: ينبغي التمييز بين ثلاثة مستويات مختلفة عند تحليل موضوع الهوية ، فهناك الهوية:

**أولاً: على المستوى الفردي:** أي شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات. الهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية.

**ثانياً: التعبير السياسي الجمعي:** عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.

(23) حدود الهوية العربية ، نقد عام ، بيروت ، ص 7.

(24) ينظر: جدلية العلاقة بين الهوية العربية والإسلامية ، ص 310.

(25) نقلاً عن: الهوية القومية العربية ، د.عفيف البوني ، المستقبل العربي ، العدد 57 ، بيروت ، 11 / 1983 ، ص 7.



ثالثاً: حالة تبلور وتجسد هذه الهوية: في مؤسسات وأبنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والانظمة". ويطلق على هذه الحالة الأخيرة بـ (مأسسة الهوية) وعلى الرغم من أن الهدف الأساسي من مأسسة الهوية هو تأصيل الهوية والسعي لتعبير أفضل عنها فإنها قد تؤدي إلى ضعف أصالتها وخودها في النفوس ؛ ذلك أن كل مؤسسة للهوية تخدم جانباً واحداً من جوانب الهوية على حساب الجوانب الأخرى<sup>(26)</sup>. إن دراسة أو معالجة موضوع الهوية يمكن التطرق إليه من خلال دراسة خصائص وسمات الواقع الاجتماعي وخصائصه وما يعكسه من سمات مشتركة لدى أفراد المجتمع<sup>(27)</sup>.

---

(26) ينظر: الهوية وأزمة الانتماء ، علاء جابر أحمد ، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، الاصدار 8 ، الصفحات 179-196 ، 2008م ، ص 180.

(27) ينظر: جدلية العلاقة بين الهوية العربية والإسلامية ، ص 312-313.



## الفصل الأول

### المواطنة والانتماء

#### دوائر الانتماء وتعزيز القيم

المبحث الأول : المواطنة وتعزيز قيم الانتماء

المبحث الثاني: المواطنة ودوائر الانتماء

### المبحث الأول

#### المواطنة وتعزيز قيم الانتماء (قيمة التعايش أمودجاً)

المواطنة علاقة ارتباط بين الفرد والدولة وتتحدد هذه العلاقة من خلال القانون المطبق في الدولة حسب نظامها المتبع، حيث تنعكس الأنظمة المستخدمة في الدولة على سلوك وشخصية الفرد. والمواطنة بمفهومها الشامل تتعلق بالمبادئ والقيم والعادات والسلوك المتوقع من الأفراد والمجتمع بصورة عامة (28). فهي إذن شعور وسلوك، شعور الفرد بانتمائه وولائه لوطنه ومجتمعه؛ يفرح لفرحه ويحزن لحزنه؛ ولعل هذا هو ما يسمى بالعمق العاطفي أو النفسي. أما السلوك فهو مرتبط بالإجراءات الفردية في تأدية واجباته لأجل نمو الوطن وتطوره وازدهاره والعمل على الحفاظ عليه من أي مكروه أو ضرر ممكن يصيبه، والإخلاص بالدفاع عنه من أي اعتداء عليه، وبالمقابل فإن للفرد حقوقاً على الوطن لحمايته وتوفير عنصر الأمن والأمان، ومساعدته لإيجاد فرص عمل لكسب قوته من أجل حياة كريمة. فالعلاقة متبادلة والمسؤولية مشتركة وتتمثل في الحقوق والواجبات (29).

(28) ينظر: المواطنة وتعزيز قيم الانتماء والولاء ، نعم النعمة ، موقع على الانترنت .

(29) ينظر: م.ن.



والسؤال هنا: هل أنّ كل فرد يولد في الوطن يكون منتمياً إليه حقيقةً ولديه ولاء له؟ هنا يدور حول هذا الموضوع تخطيط كبير ورؤى واسعة ومتعددة وتراهن عليها الصراعات الدولية الكبرى؛ إذ إنّ من المنطقي أن يكون كلّ من يولد في وطن ينتمي إليه ويكون لديه ولاء لوطنه؛ غير أننا نجد بعضاً من الحالات المخالفة؛ فهناك من ينتمون إلى بلد ما لأنهم ببساطة مولودون في ذلك البلد وفي تلك المساحة من العالم لكنهم لا يعطون ولاءهم بالضرورة إلى ذلك البلد، وهذا المفصل الذي يعد مفصلاً حرّاً انتقالياً بين الطرفين أو الحالتين خطير للغاية؛ إذ إن ما يقوم به العدو اليوم - كائناً من كان - هو زحزحة هذا المفصل بما يضمن زيادة نسبة الذين لا يعطون ولاءهم للوطن، وبالتالي فإن السيطرة على موارد ذلك البلد أو مقدراته ستكون ممكنة، ومن هنا فإن التحويلات الفكرية السلبية التي أجراها أعداء الإسلام على الشعوب الإسلامية إنما تتمحور حول هذا المفهوم في تغيير الولاء من حب الوطن إلى عدم الاهتمام بقضاياها أو عدم الاكتراث بها؛ فتكون النتيجة الطبيعية حب النفس والأناية؛ وتبدأ احتمالات الإفساد في نواحي الحياة كلها. ولهذا يجب عدم الخلط بين مصطلحي الولاء والانتماء في التفسير المنطقي والتطبيق الفعلي. فالولاء مفهوم أوسع واشمل من الانتماء. إن التحويلات الفكرية التي أجراها رسول الله ﷺ في مجتمع المدينة كانت كلها تصب في مصلحة الولاء للمجتمع والمدينة، في حين أن الانتماء كان موجوداً مسبقاً لدى أهل المدينة لمدينتهم.

ولعلنا من خلال ما قدّمنا من تعريفات وتوضيحات لمفهوم الانتماء في المدخل نستنتج تعريفاً نوعياً هو: [أن الانتماء هو نظام تشغيل مكتنز أو كامن في عقل ووجدان الفرد مرتبط بالماضي والحاضر ارتباطاً وثيقاً يتفعل على هيئة مجموعة من الممارسات السلوكية صادرة عن الفرد نفسه للتعبير عن موقف تجاه ما يحدث حوله من قضايا مجتمعية].

أمّا المواطنة فهي طاقة كامنة مكتنزة في صدور جميع المواطنين رجالاً ونساءً وشيوخاً وشباباً ، وهي الواقع العملي الذي يعكسه الانتماء والقناعة الفكرية تجاه المجتمع ، وهي ممارسة وسلوك، ضمن مجموعة من القيم والاتجاهات التي تجعل الفرد يتحمّل المسؤولية بقدر قيمة العمل لخدمة المجتمع، إذ هي حُبّ المواطن لوطنه، والشّعور بمشكلاته، والمشاركة الإيجابية للتعاون مع الغير على حلّها، والتفاني في



خدمته، والالتزام بمبادئه وقيمه وقوانينه، والمشاركة الفعّالة في الأنشطة والأعمال والبرامج التي تستهدف رُقِيّ الوطن والمحافظة على مكتسباته<sup>(30)</sup>.

أما العلاقة بين الانتماء والمواطنة أو الوطنية: فيلّى جانب الثقافة، يُعدّ (الانتماء) و(الوطنية) من جوهر الهوية، فالوطنية ثقة بال (أنا) الجمعية، لمجموعة تعيش على أرض مشتركة، يشعرون بالولاء والانتماء للأرض، والالتزام بمجموعة المفاهيم الرّابطة. كما أنّ الوطنية ليست التّعصب ضد الآخر، ولا الغرور بالذّات، ولا الانغلاق على الذّات، ولا هي دعاوى باطلة للاعتداء على الآخر. الوطنية هي محور الارتكاز لاستيعاب الماضي والانطلاق نحو المستقبل<sup>(31)</sup>.

ولكن ماذا نعني بالماضي؛ فإننا نحن المسلمين نمتلك في الماضي حضارة مصدرها السماء؛ رسالة سماوية هي خاتم الرسالات التي علّمت الإنسانية معاني المواطنة والانتماء والولاء وارتقت بهذه المعاني إلى أسى صورها ووضعت مركزات واضحة وسامية لكل منها بما يحقق القيم الإنسانية والمدنية والحضارية كلها. وبالتالي فإن المسؤولية الملقاة على عاتقنا في خضم التحديات القصوى التي تتعرض لها أمتنا تكمن في براعتنا وانتفاضتنا نحو تنشيط الوطنية وإكساب أبنائنا وشبابنا المعارف، والقيم، والمبادئ والمهارات التي تمكنهم من التفاعل بالعالم المعاصر مع ضمان مقومات الشخصية الوطنية.

ولعل من المرتكزات المهمة التي بنى عليها الدين قضايا المواطنة والانتماء أن الدّولة هي واسطة لا غاية بحدّ ذاتها، إنّها للمواطن، وليس المواطن لها، فهي تُسهل للإنسان نموّه الطّبيعي والعقلي والأدبي. ولكن بالمقابل على المواطن أن يعرف أن من واجبه احترام قوانينها والتزام الأعراف وغير ذلك، كأن يهتمّ بمشاكل الآخرين، وتعزيز مفهوم العمل والخدمة لخلق جيل جديد قادر على بناء وطنه بصدق وأمانة.

(30) ينظر: المواطنة وتعزيز قيم الانتماء والولاء، نعم النعمة، موقع انترنت

(31) ينظر: م.ن.



## مقومات التعايش بين المختلفين في العقيدة والجنس:

التعايش في الإسلام قضية لها الصدارة في التشريعات الإسلامية تستدعي الحاجة اليوم البحث والاجتهاد لكشف أصولها وبيان أركانها ومقاصدها، وتعزيز ذلك من الوحي ، والسيرة ، والتاريخ، وإنزاله على أرض الواقع فكراً وسلوكاً، وإجراء الحوار المطلوب مع الآخرين، وتجنيد الدعوة من المعوقات والعقبات.

لقد عمل المسلمون على دعوة الناس إلى دين الله دون أن يكون في منهجهم إكراه على ذلك؛ بل إنهم انتهجوا نهج الترغيب والإقناع فحسب ؛ ومن لم يقتنع فلا إكراه في الدين؛ فإن إدخال الناس في الدين كرها ليس مقدوراً لأحد، كما قال الله تعالى: ( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) [يونس: 99].

وأما ما يظهر من عجز الإسلام على استيعاب الظرف الطارئ والانفتاح البشري على المدنية متمثلاً ذلك بظاهرة العوملة ؛ فإنه يكمن في القصور الفكري لدى القائمين على الأمر وانعكاسه بعد ذلك على السلوك الفردي والجمعي وكان ذلك كله على حساب القراءة المنهجية الشمولية المعتدلة المتوازنة لسائر الأدلة والمصادر، ومما زاد الطين بلة رؤية قاصرة للمجتمع تؤدي إلى نبذ الواقع واتهامه بفرط مخالفته للأصول، وأحياناً للجهل بحيويته وضرورته. لذا فإن الإسلام على مدى التاريخ لم يحترم حرية الآخرين فحسب؛ بل سمح لهم بتطبيق قوانينهم في بيئتهم وضمن المجتمع أو النظام الإسلامي، وفي الأحلاف والاتفاقيات التي عقدها وطبقها الرسول الأكرم على الصعيدين الخارجي والداخلي تعد من أهم صور التسامح والتعايش التي عرفت الإنسانية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن الإسلام وقر كل متطلبات التعايش وما ينعشه ويضمنه بصورة مستدامة مثل: القسط، العدل، الإنصاف، العفو، الصفح، إحقاق الحق، نفي الظلم، حسن الظن وما إلى ذلك(32) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ

(32) ينظر: التعايش في المنظور الإسلامي - صلح الحديبية أنموذجاً، م.د. عبد الستار جاسم محمد الحياني ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 8، الإصدار 3، الصفحات: 341-356، ص343.



تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ [سورة النساء: 135]؛ قال القرطبي: كونوا قوامين لله؛ أي لأجل ثواب الله، فقوموا بحقه واشهدوا بالحق من غير ميل إلى أقاربكم وحيث على أعدائكم<sup>(33)</sup>.

### الإسلام ينمو في ظروف التعايش:

وعند العودة إلى مفاوضات الحديبية، التي أسفرت عن صلح وهدنة بين المسلمين وقريش تضمنت شروطاً عديدة اتفق عليها الطرفان. والمتبع لمجريات هذا الصلح يلمس بوضوح مدى تنظيم ذلك الميثاق وكتابته، إذ تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال ذلك الاتفاق وبنود الصلح من تهيئة الأرض والظرف القادرة على نشر الإسلام في عموم مناطق الجزيرة العربية. إذ نجد أن العديد من القبائل قد دخلت الإسلام بعد توقيع تلك الاتفاقية، ولعل أهم بنود هذا الاتفاق هو الاعتراف الصريح من قبل قريش أن المسلمين أمة ولهم دولة وكيان، وهذا منح المسلمين فرصة ثمينة للتقرب إلى مجتمعات إنسانية عديدة وتبليغهم رسالة الإسلام. فجاهد المسلمون في نشر دين الله في ربوع الجزيرة كمرحلة أولى بالدعوة والإقناع وبحسب النظرية النبوية [التي أفردنا لها الفصل الأخير]. لقد توافر للمسلمين الفرص الأصيلة الكفيلة بانتشار فكرة الإسلام مما أثمرت بعدها بعامين فحسب وأسفرت عن فتح مكة. من هنا فإن صلح الحديبية وما تلاه من فتح عظيم هو كفيلاً ودليل على أنّ الإسلام ينتشر بالإقناع فحسب دون غيره من وسائل الإكراه، وهذا بالضبط ما تضمنته النظرية النبوية، وأما ما أثير عن الإسلام من شبهات المستشرقين وأعداء الإسلام أنه قد انتشر بالسيف فهو محض خرافة وتلبيس على الناس. فلقد توسع الكيان الإسلامي بشكل عجيب ولأول مرة على وجه هذه الأرض من خلال فكرة السلم التي تبناها رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعايش مع المختلفين، لذا فإن هذا الصلح يعد خطوة رائدة في انتصار الإسلام. وقد أعطى هذا الموقف النبوي درساً بليغاً للصحابة الذين اعترضوا على بعض بنود هذه الوثيقة؛ فقد اكتسبوا هذا الدرس بعد أن رأوا إصراره صلى الله عليه وسلم على نهج السلم لأنه إنما أرسل رحمة للعالمين، فقدم من خلال ذلك صورة أصيلة لقدرة الإسلام على الانتشار بالإقناع الفكري لا بسواه، وأنّ الإسلام دين تعايش وسلام مع

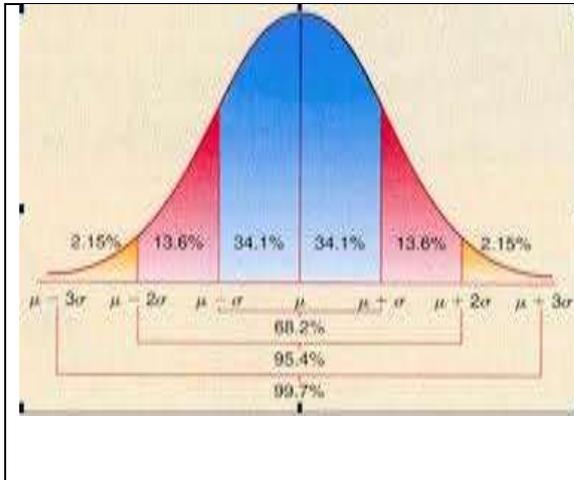
(33) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ج 7 / ص 372.



الآخرين مهما كانت مذاهبهم وآراؤهم، فضلاً عن أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبرم هذه الاتفاقية مع قريش لضعف عسكري منه أو معنوي؛ بل إن الطرف الآخر وهم قريش اختاروا الصلح وركنوا إليه لضعفهم وانسحاب مؤيديهم وتفكك فكرتهم أمام دين الإسلام "فلو أنّه قاتل قريشاً وقتها فمن حكم المؤكد أن يغلبها"<sup>(34)</sup>، وقد صرحت بذلك الآية الكريمة (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأذبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً)[الفتح: 22].

#### مقابلة بين مجتمعين مختلفين مندمجين في وطن واحد:

إن مقابلة سريعة بين مجتمعين مندمجين في وطن واحد؛ مجتمع مسلم متدين ملتزم بمبادئ الهوية الإسلامية، ومجتمع غير مسلم له دين آخر أو ليس له دين أصلاً؛ فتكون المقابلة بينهما على أساس الأخلاق.



في الشكل الذي يبين التوزيع الطبيعي للمجتمعين؛ المجتمع المسلم، والمجتمع غير المسلم، المندمجين في وطن واحد، فيمكن القول بأن مجال المقابلة يكون عند المساحة المظللة لكل منهما، فهي تمثل غالبية المجتمع، وهي تعكس الهوية الواضحة لذلك المجتمع.

ولعل أهم عنصر هنا (الأخلاق)، فيمكن أن نقف على حد مشترك من الأخلاق بين المجتمعين، هذه الظاهرة تقدم لنا مشتركاً مهماً للهوية الوطنية يمكن اعتماده والتأسيس عليه عند الحديث عن الهوية الوطنية.

(34) التعايش في المنظور الإسلامي - صلح الحديبية أمودجاً، ص 344.



إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة عندما وضع الصحيفة خاطب هذه الفئة المجتمعية من غير المسلمين وجعلهم أمام اختبار للأخلاق والقيم التي يحملونها. لا لمعتقداتهم لأن معتقداتهم معروفة لا يمكن الرجوع إليها فجعل الأخلاق محط التواصل والانسجام. [وقد أفردنا الفصل الأخير للتوسع في هذه القضية].

فإذا كانت المذاهب الفكرية تختلف في نظرتها إلى العقائد، والشرائع، فإنها تتفق إلى حد كبير في الدعوة إلى الأخلاق، وإن اختلفت في بعض أحكامها، وتطبيقاتها.

لقد اعتنى الإسلام أيما عناية بالأخلاق ومكارمها، وجعلها من أولويات اهتمامه، واستثمرها في وحدة المجتمع وترسيخ مفهوم المواطنة؛ من ذلك ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة من الدعوة إلى الصدق في تنفيذ العهود والالتزام بها والتناصح والتناصر بين أفراد المجتمع المدني مع اختلاف عقائدهم، فوحد الصفوف على أساس القيم الأخلاقية، وجعل لمن ينقض تلك القيم الأخلاقية عقوبات شديدة. وينظر الإسلام إلى غير المسلمين على أنهم أناس لهم حقوق الإنسانية من الرحمة، والنصيحة، والعدل، ورعاية العهد، وحرمة الدم باستثناء الحربي، بل خطأ الإسلام الخطوة الكبرى فشمّل بالرحمة كل من تنبض به الحياة<sup>(35)</sup>.

ولعل الحكمة الكامنة في سبب اختيار العرب كمواطن مناسب لخاتم الرسالات أنهم تميزوا بمكارم الأخلاق، فكانوا بذلك قادرين على إقامة حضارة.. ولعل الأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام كانت سبباً مهماً من أسباب الدعوة إلى الله ومظهراً رائداً من مظاهر رسوخ الهوية؛ إذ من المعروف أن الإسلام قد انتشر على يد التجار المسلمين في كثير من بقاع الأرض لما وجدته الناس عندهم من هذه الصبغة الربانية

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) فكانوا خير سفراء عن الإسلام؛ فتميزوا بأخلاقهم من الصدق، والسماحة، والوفاء، والأمانة، مما جعل تلك المجتمعات تثق بهم، وتعجب بمنهجهم، وطريقتهم، فتأثرت

(35) ينظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، ط5، 1377هـ-1958م، القاهرة(مصر)، ص77.



بهم، ودخلت في دين الله. وعلى ذلك، فإن التزام المسلمين بالأخلاق الحميدة مع أنفسهم، ومع غيرهم له الأثر العظيم في إظهار صبغتهم الإسلامية، مما يترتب على ذلك التأثير بهم<sup>(36)</sup>.

### التعايش ودروسه في مبادرات الرسول في صلح الحديبية:

لقد انتظم صلح الحديبية في مقدمات ؛ أولها التي كانت عبارة عن مبادرات تكشف عن التخطيط المسبق لهذا الصلح؛ ثم ما كشفته شروط الصلح التي وافق عليها رسول الله ﷺ واعترض عليها بعض صحابته الكرام، ما كشفه ذلك إصراره ﷺ على السير في طريق السلام والتعايش وما يستحق ذلك من أثر بالغ على مستقبل الإسلام ودولته. فقد أيقنت قريش من موقف الرسول وإصراره على السلم لكثرة ما قدمه ﷺ من مبادرات؛ إذ لم يكن ذلك الموقف مألوفاً في تلك المجتمعات التي قد تهلكتها الحروب لعشرات السنين دون أن تحظى بموقف إيجابي تجاه السلم ، وقد أثر ذلك الإصرار النبوي في خصومه بعد أن مارس رسول الله أساليب متنوعة وطرقاً شتى لإيصال رسالة السلام إليهم فتحوّلوا من خلال ذلك إلى فرصة جديدة لم تكن معهودة ولا متبادرة إلى ذهن أحدهم ألا وهي السلام والتفاهم. فشكلت قريش وفد التفاوض؛ وهم حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، ويرأسهم سهيل بن عمرو، الذي أعطته قريش صلاحيات مطلقة للتفاوض مع المسلمين ، شريطة أن يرجع المسلمون عن مكة عامهم هذا إذ قالوا له: "أنت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فو الله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة أبدا"<sup>(37)</sup>، وثرت تفاصيل الأمور لسهيل لما عُرف به من القدرة على التفاوض والحنكة والرأي السديد؛ فلما رأى النبي سهيلاً مقبلاً استبشر خيراً<sup>(38)</sup>، لما في سهيل أيضاً من الرمزية على التفاوض والقدرة على الوقوف على حلّ واتفاق سلمي ، فهو رجل ذو حنكة جاء لإقامة اتفاق يؤدي إلى سلم لا ترويح حرب. ونقلت لنا كتب الحديث وكتب التاريخ تفاصيل الحوار الذي دار أثناء الصلح ، وكيف انه

(36) ينظر: الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د. عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول ، الاصدار 28 ، العراق ، 2014 ، الصفحات: 37-64 ، ص 49.

(37) السيرة النبوية ، ابن هشام : 2 / ص 270.

(38) ينظر: الروض الأنف ، السهيلي ، 4 / ص 48.



صلى الله عليه وسلم استطاع بحكمته وتسامحه وبُعد نظره، وعدم اهتمامه بالشكليات في المواقف المصيرية الخطرة، وقدرته على تجاوز العقبات التي من شأنها أن تُعيق أو تُعرقل هذا الصلح<sup>(39)</sup>.

ولعلها دروس عظيمة عملية يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في ممارسة التصالح بغية التعايش السلمي والانطلاق إلى الحياة الآمنة المستقرة التي تنمو فيها دعوات الحق وتزدهر. من ذلك أنه عليه الصلاة والسلام دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: (أكتب بسم الله الرحمن الرحيم)؛ فقال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هي، ولكن أكتب (بسمك اللهم) كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكتب (بسمك اللهم)؛ فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في موقفه هذا أن الجملتين تحقان مراداً واحداً هو البدء باسم الله تعالى فلا داعي للبحث عن الخلاف في الجملتين وإنما ينبغي الوقوف والقبول بالمشترك بين الطرفين، وأما ما قاله سهيل عن كلمة (الرحمن) راعى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرض على مفاوضه كتابة شيء لا يعرفه، ثم قال: (هذا ما قضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددنا عن البيت ولا قاتلناك، ولكن أكتب (محمد بن عبد الله) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، أكتب (محمد بن عبد الله)، فعمل رسول الله بما أراد الخضم المفاوض بحسب ما يؤمن به هو لكي لا يكون ذلك مانعاً من إقامة الصلح مع بيان أنّ إيمانهم محض وهم؛ وأنهم يُكذّبون الحق وينتهجون نوح الباطل، فقدم عليه الصلاة والسلام هنا درساً عظيماً لصحابته الكرام وللعالم كله من بعده، ولكن ضج المسلمون وارتفعت أصواتهم وقام رجال من أصحابه يقولون: لا تكتب إلا محمداً رسول الله وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي هذه الدنية في ديننا؟ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئ بيده إليهم أن اسكتوا، حتى تعجب مفاوضو الكفار وقال أحدهم: ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء القوم<sup>(40)</sup>.

إنّه تحويل فكري عملي جديد يمارسه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه يؤسس معه رجال دولة قادرين على

(39) ينظر: التعايش في المنظور الإسلامي - صلح الحديبية أمودجاً، ص 353.

(40) المغازي، الواقدي (ت 207هـ)، عالم الكتب، بيروت: 2/ ص 611.



إدارة الأمور من بعده بحسب مقتضيات السلم والتعايش. فكان من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية قادة أمة الإسلام وخلفائها من بعده وصحابته الذين تولّوا قيادة الدولة، ومن كان في إمرتهم من الصحابة على علي الأمصار؛ إذ قدّموا دروساً عظيمة للجيل القادم من بعدهم ممن عايشهم من التابعين، وهكذا توالى أجيال القيادات الإسلامية على مر العصور تنشر روح التفاؤل والتعايش وتبغى الحضارة والحياة معاً في ظل دين الله الحنيف.

وقد عكس هذا الموقف المنهج الذي أراده النبي ﷺ لأمته في تعاملاتها وتعايشها مع المخالفين في العقيدة والمنهج، للوصول الى غاية أسمى وهدف أرفع، على الرغم من تعالي أصوات المعارضين لكل بنود الصلح وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذين أدركوا بعد ذلك غايات النبي عليه الصلاة والسلام من عقده لهذا الصلح وتيقنوا ببعده نظره وتفكيره المستقبلي من اجل الدعوة والأمة معا، فأعلن ابن الخطاب ندمه على موقفه ذاك بقوله: (ما زلت أصوم وأتصدق واعتق لما صدر مني في تلك المعارضة) (41). هنا نقف على القناعة التي تحققت لدى ابن الخطاب بموقف رسول الله وإقراره بالدرس الذي تعلّمه من رسول الله ﷺ؛ إذ لم يكن الموقف وحده كافٍ لإقناع ابن الخطاب رضي الله عنه وإنما استدعى ذلك النظر المستقبلي في الإيجابيات التي تحققت، والمكاسب التي جنتها أمة الإسلام كنتيجة لذلك الصلح فكان فتحاً مبيناً كما وصفه القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الفتح: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) قال المفسرون هو صلح الحديبية، لقد رأى بن الخطاب ما رأى من أثر السلم والتعايش على الدعوة ونموها وقدرة البشر تحت ظل دين الله الحق على إقامة أسمى وأروع حضارة شهدتها التاريخ.

(41) السيرة النبوية، ابن هشام: 2/ ص 270.



## المبحث الثاني

### المواطنة ودوائر الانتماء

**ثنائية الدولة والمواطنة:** عليه يمكن تعريف (دولة المواطنة): "بأنها تلك الدولة الديمقراطية المدنية التي تتضمن دستوراً يضمن حقوق المواطنين وتراعي المساواة والحريات العامة ، كذلك يبين واجبات المواطن نحو دولة يستند مصدرها إلى الشرعية ويحتوي على آليات ديمقراطية في ممارسة وتداول السلطة"<sup>(42)</sup>.

تقف قضية المواطنة على رأس اهتمامات الباحثين في الشأن الإسلامي والسياسي في العالم، كونها شأناً محورياً في البناء الاجتماعي، ترسم المعايير التي يطبق بها مبدأ العدل والمساواة بين الناس، وهي تقدم نفسها حلاً جذرياً للمشكلات الناشئة من خلال منطلق الاستعلاء القومي أو الثقافي أو العرقي، وهو الاستعلاء الذي يتأني عاده على رأس أسباب الحروب الأهلية الضارية<sup>(43)</sup>. لذا فإن العلاقة بين الدولة والمواطنة علاقة تلازمية ؛ وأنّ دولة دون مواطنة لا يمكن أن تدوم طويلاً ؛ وهي في مقاييس ابن خلدون في آخر مراحل حياتها وهي آيلة إلى السقوط.

### المواطنة التي يدعو إليها ديننا:

ولكن ما هو رصيد منطلق المواطنة في ديننا الحنيف؟ وهل تشكل القيم الديمقراطية التي تنادي بالمواطنة أساساً للعيش المشترك انحرافاً عن هدي الإسلام؟.

### قاعدة: (لا إكراه في الدين):

تَبَيَّنَ دستور المدينة قاعدة (لا إكراه في الدين) فقد نصّت العبارات الأولى منه على تحقيق شرط

(42) الهوية الوطنية في الدولة العراقية الموحدة دراسة تحليلية-تاريخية في الدستور الملكي والساتير العراقية المؤقتة ، م.د.عدنان قادر عارف زنكنة ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، مجلد 9 ، عدد 2 ، 2014 ، 94- : 102.  
(43) ينظر: المواطنة في الإسلام ، موقع الانترنت.



المواطنة الذي يعد أن من حق كل من يحمل الوفاء للأرض أن يعيش فيها بغض النظر عن موقفه الديني ف (لا إكراه في الدين)، ومع أن اليهود كانوا (أشد الناس عداوة للذين آمنوا) ، فالنبي الكريم لم ير أن خلافهم معه في الدين يفسد حقهم وواجبهم في المواطنة في البلد الذي يعيشون فيه، بل إن هذا المعنى نص عليه بوضوح دستور المدينة المنورة الذي كتبه النبي ﷺ للتأكيد على حق اليهود في العيش في الوطن الإسلامي طالما كانوا أوفياء لحقوق المواطنة المشروعة، وهذا الدستور يُعدّ أول دستور مكتوب عرفه العرب، وهو يضمن الحقوق المشروعة للمواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية<sup>(44)</sup>، ومما ورد فيه:

هذا ما عاهد عليه محمد يثرب وأهلها ومن أقام بها من الناس: (إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس) وهذه هي دائرة الانتماء الأولى فالمؤمنون هم بؤرة تأسيس الدولة الإسلامية المدنية وهم ركيزتها، ولولاها تفقد دولة الإسلام تماسكها وصلابتها وحيويتها ونشاطها وقدرتها على الاستمرار فنجد أن رسول الله ﷺ قد أسس النواة المتماسكة فجعل المؤمنين هم نواتها لأنهم أه القناعة فكراً وعقيدة ، فجعلهم الحلقة المركزية التي تضم الكتلة الأصلب والأقوى في الدولة ، ثم أضاف إلى هذه الكتلة المحورية الأقرب فالأقرب من الطبقات المجتمعية والعقائدية الأخرى فجاء في الصحيفة: (وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا ظالمين) فجعل اليهود الذين يلحقون بالمؤمنين في قناعاتهم في بناء هذه الدولة والتعايش السلمي والتآزر المجتمعي مع حرّية العقيدة ؛ فإن لأمثال هؤلاء الحق المطلق في التدين والعقيدة وأكّد بعدها قائلاً: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم) ، وحرّم دستور المدينة الظلم على اليهود وغيرهم من المشركين ، كما حرّمه على المؤمنين تماماً بتمام فلا فرق بين مسلم ويهودي في حقوق المواطنة وواجباتها فمن ظلم وأثم فإنه يتحمل العقوبة المقررة نفسها فقال: (إلا من ظلم وأثم) ثم عدّد قبائل اليهود قبيلة ليجعل لهم قيمة واحتراماً فقال: (وإن

ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ؛ ومثل ذلك ليهود بني الحارث وساعدة وجشم والأوس وثعلبة)؛ إلا من ظلم وأثم) ثم بيّن الواجبات المنوطة بهم جميعاً يهوداً ومسلمين كالنفقات وتوزيعها فقال: (وإن على

(44) المواطنة في الإسلام ، موقع على الانترنت.



اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم) ، ثم جعلهم قوة واحدة على من سواهم فقال: (وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة؛ وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم، وإن النصر للمظلوم؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة؛ وإن الجار كالنفس غير مُضار ولا آثم).

ولعل قراءة لهذا النص الدستوري هي كفيلا بأن تكشف القيمة الكبرى التي قدّمها الإسلام؛ إذ قدّم الإسلام للمواطنين الحقوق المتساوية للجميع. وضمن هذا المشهد الأمثلي الإنساني فيما عرضته الصحيفة من مساواة وحرية وحقوق وواجبات، فقد كان أمام اليهود فرصة تاريخية لتحقيق مبدأ التسامح الديني والحرية العقدية؛ ولكن اليهود لم يكونوا جديرين فيما قُدم لهم من فرصة التعايش ، ولم يكونوا جديرين في توظيف بنود دستور المدينة في تقديم المثل الصالح للإنسانية كلها في التعايش السلمي بين الأديان؛ إذ نجد عددا من الحوادث والمواقف التي نكث فيها اليهود بعهدهم تجاه دولتهم أدت إلى مواجهات متعددة وهي قد خرقت قبل ذلك مبدأ المواطنة وخرقت حلقاتها التي تجعلهم مجتمعاً واحداً ، ومع ذلك فإن عدداً من اليهود ظلوا في المدينة المنورة إلى وفاة النبي الكريم ﷺ ولعل من أشهر الشواهد في هذا السبيل أن النبي الكريم مات ودرعه مرهونة عند يهودي بصاع من شعر.

**ومن التحويلات الفكرية المهمة مما قدّمه رسول الله ﷺ في هذا الخصوص: موقفاً واضحاً في منح حقوق المواطنة التامة للناس من خلال الآية الكريمة: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فقد قدّمت الآية الكريمة جملة من التحويلات الفكرية في الفكر والاعتقاد والعلاقات وأسلوب الحياة وأخلاقيات التعامل مع الآخر الذي يختلف معي في كل شيء، لكنه يشترك في الإنسانية أولاً وإرادة الحياة والبناء وإقامة الحضارة ومشروع التعايش ثانياً.**

ومن المهم والجدير هنا البيان بأن هؤلاء الذين نزلت الآية الكريمة في وجوب معاملاتهم بالعدل



والإحسان هم ليسوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بل هم الوثنيون المشركون من قريش، الذين لا شك أبدأً في كفرهم وفساد عقيدتهم.

وفي موقف آخر للنبي الكريم يقدم لنا درساً في أهمية الوعي بمبدأ المواطنة قدمه لنا عليه الصلاة والسلام من خلال صلح الحديبية، فوجد النبي قد عقد عهده مع قريش على أساس سياسي لا ديني، فوافق على إيقاف الدعوة إلى الإسلام في أرض مكة، بل وافق على رد من جاءه مسلماً من قريش، ولعل أهم ما في هذا العهد كان نصه على أن من شاء أن يدخل في حلف محمد وعهده دخل فيه ومن شاء أن يدخل في حلف قريش وعهدها دخل فيه، ودخلت خزاعة في عهد النبي الكريم، ودخلت بنو بكر في حلف قريش، وهكذا فقد أصبح لخزاعة وهم وثنيون مشركون سائر الحقوق السياسية التي كان يتمتع بها أهل المدينة من المواطنة. ويبقى مبدأ (لا إكراه في الدين) هو السائد في حياة محمد ﷺ نبي الرسالة السماوية ؛ ولعل حادثة فتح مكة كانت أساساً انتصاراً لرجل وثني من قبيلة خزاعة وهو عمرو بن سالم الخزاعي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال في مشهد من أصحابه:

لاهم إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلا

إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقلك المؤكدا

هم بيتونا بالصعيد هجداً وقتلونا ركعاً وسجداً

فانصر هداك الله نصرأ أرشدا

ولعل هذه الشواهد من السيرة النبوية تقدم دليلاً واضحاً على روح الإنسانية التي جاء بها الإسلام وجسدها في ثقافة المواطنة وهي ثقافة تمنح الإنسان حقه الدستوري والتشريعي في المواطنة بغض النظر عن الاختلاف في الدين.



## المساواة بين الناس واستقلال القضاء:

وفي إطار القضاء فإن النبي الكريم حقق استقلال القضاء استقلالاً تاماً عندما نادى بالمساواة بين الناس في الشأن القضائي، ووجه صحابته الكرام إلى التمييز بين موقعه كنبى يوحى إليه وبين موقعه كقائد زمني يحتكم الناس إليه، فقال: أيها الناس إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء ن حق أخيه فإنما هي قطعة نم النار فليأخذها أو ليدعها<sup>(45)</sup>. فالقضاء محل نقض واستئناف على الرغم من أن موقع رسول الله ﷺ في النبوة يدعوه إلى الصرامة والحزم في خياره القضائي. لقد عمل رسول الله ﷺ من خلال ذلك على توحيد الانتماء عند الصحابة بين الدولة والأمة؛ فهم ينتمون إلى أمة الإسلام وقائدها محمد ﷺ، وهم ينتمون إلى دولة المدينة وقائدها محمد ﷺ.

وقد أسس رسول الله ﷺ في المدينة على مدى عشر سنين قيادة عريضة من صحابته الكرام مؤهلين لخلافته كقيادة للدولة الجديدة، يفهمون فلسفة هذا الدين بدقة عالية شهدت لهم ممارساتهم في القيادة بعد رسول الله ﷺ على ذلك فحافظوا على التوحيد بين الأمة والولاء للدولة. ومن ممارساتهم تلك في ترسيخ قيم المواطنة والانتماء والولاء للوطن والولاء للأمة على السواء؛ ما حكم به عمر بن الخطاب في احترام حق المواطنة وترسيخها حين وصلته شكوى المواطن القبطي المسيحي القادم من مصر إلى المدينة ضد ابن عمرو بن العاص الذي كان حينذاك حاكماً على مصر، وعندما تحقق عمر من مظلمة القبطي أمر بحضور الجاني وأبيه عمرو بن العاص حاكم مصر حينها، إلى المدينة، ليقطعا مسافة تقدر بألف (قُرابة: 1600 كم)، حيث أقام القصاص العادل ضده بحضور هيئة المحكمة، وقال بوضوح: (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)، فجرى هذا القول مثلاً من بعد. لقد حكم الخلفاء الراشدون

(45) ينظر: المواطنة في الإسلام، موقع على الانترنت.



بعدل الإسلام ، فحققوا بذلك المساواة بين الناس جميعاً مما رسّخ قضية المواطنة لديهم بأصولها ، وطابق بين الولاء للأمة والولاء للدولة.

### حق المواطنة مكفول في الإسلام:

إن حق الإنسان في المواطنة مكفول في الإسلام بغض النظر عن الخلفيات الدينية والتراثية للمواطن، إذ قدّم رسول الله ﷺ ومن بعده خلفائه أروع الأمثلة والأدلة الدامغة على دور المواطنة الحقّة في الجمع بين الولاءين للأمة وللدولة ، والمطابقة بينهما ، وبيّنوا أنّ احترام الإنسان لذاته والعدل بين الناس جميعاً والمساواة بينهم في الأمور كلها هو الركن الركين في تحقيق الانتماء المتكافئ بين الأمة والدولة على السواء، وتلاشى الإشكالية التي أزت الأمم.

### الهوية الإسلامية صورة من صور العولمة الحضارية الضامنة للحقوق:

لعل أن العولمة التي قدمتها الهوية الإسلامية تتمتع بالرقى الحضاري وهي أرادت تغييرات فكرية وإجرائية للشعوب وقدمت شروعاً حضارياً عظيماً للإنسانية لكنها لم تعتمد أساليب القوة والبطش والإرهاب التي اعتمدها الغرب أو يعتمدها اليوم مع الشعوب التي ترفض فكر العولمة بمعنى التجريد عن الهوية الشخصية. لتلك الشعوب، فالإسلام جاء ليحرر الناس من قيود العبودية والظلام، ويفتح أمام عقولهم مساحة واسعة من التحرر والقيم والرقى. وجعل ذلك كله منوط لا بقناعات غيرهم فقال (لا إكراه في الدين)، وقال : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، ولذا فإننا نجد أنه قد ظهر جيل من العلماء وازدهرت الحضارة الإسلامية بعد نزول القرآن بمئة سنة، وقدمت الحضارة الإسلامية أمثلة رائعة وعجيبة في عالم الإنسانية.

ويعدُّ البعد الثقافي الاجتماعي للعولمة اليوم من أخطر أبعادها؛ فهي تعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير ثقافة واحدة، وإحلالها محلّ الثقافات الأخرى؛ ممّا يعني تلاشي القيم والثقافات القوميّة، وإحلال القيم الثقافيّة للبلاد الأكثر تقدُّماً محلّها، وخاصّة أمريكا وأوروبا، وهذا الأمر تجاوزته العولمة الإسلامية -إن



صح التعبير- إذ إن الشرع الإسلامي اعتنى كثيراً بأعراف الشعوب واحترامها وأيدها ما دامت لا تتقاطع مع روح الإسلام ، فجعل (العرف) واحداً من مصادر الشرع للقوم. هذا الأمر الذي ينعكس بصورة مباشرة على الهوية الثقافية للمجتمعات المختلفة.

### ما مظاهر العولمة وماذا تعني؟

العولمة تعني من الناحية الثقافية "تحويل العالم المتعدد في دياناته وعاداته وثقافته إلى شيء متجانس وغير متفاوت، يتميز بعلامة واحدة، يتحد ثقافة وحضارة ومدنية"<sup>(46)</sup>، هذا يعني أن العولمة تحاول أن تكسر سنة كونية أرادها الخالق سبحانه للبشر وهي سنة التعددية والتنوع في كل شيء .. إنها تريد أن تجعل البشر جميعاً في تجانس ثقافي وديني وفكري لتسهل على صانعي العولمة قيادة الشعوب ووضع معادلة موحدة لتسييرهم، "وهذا مكنم الخطورة؛ لأن العولمة ممارسة من طرف واحدٍ سلطويٍّ، يحكم العالم بالقوة، ويصوغه على شاكلته ذهنياً وسلوكياً بالعنف"<sup>(47)</sup>، وقد حاولوا محاولاتهم مع الشعوب العربية أو غير العربية ذات الهوية الإسلامية فوجدوا أن عمليات التحويل والتركيب التي اقترحها لأساليب العولمة غير مجدية ، وأن الهوية الإسلامية متغلبة عند تلك الأمور، مما اضطرهم إلى أن يلجئوا إلى العنف وأساليب الصدمات والحروب والتخريب وما إلى ذلك، وهو إذ يفعل ذلك فلن يجعله مثله في علمه وإنتاجيته وانضباطه واحترامه للقانون، ولن يفيض عليه من علمه الدقيق بظاهر الحياة الدنيا ما يجعله ندأ؛ وإنما سيفيض عليه ما يضمن التبعية، ويمكّن من السيطرة والاستغلال، وهذا ما توحى به صيغة (فوعلة) لا (عولمة)؛ إذ هي إجبارٌ وإلزام، فكأنَّ الغربَ المستكبر يفرض ثقافته واقتصاده وأنماط سلوكه ويحتفظ بعلمه وتقنيته<sup>(48)</sup>. وما يفعله اليوم في العراق وسوريا وليبيا وغيرها من الدول العربية والإسلامية ليست ببعيدة عن أنظارنا.

فالواقع يؤكد أن "منظري العولمة، وجدوا فيها نموذجاً غريباً للحياة، ووجدوا في هذا النموذج سلعة

(46) حسن بن فهد الهوتمل: "الثقافة وتحديات العولمة"، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، 2003. ص 149 - 150.

(47) حسن بن فهد الهوتمل: "الثقافة وتحديات العولمة"، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، 2003. ص 149 - 150.

(48) حسن بن فهد الهوتمل: "الثقافة وتحديات العولمة"، ص 149 - 150.



يتمُّ الترويج لها بين الشعوب والأمم المستضعفة، والفكرة الأساسية التي تقوم عليها عمليَّةُ التغريب المنظمَّ: أنَّ الحضارة الرَّاهنة -وهي الحضارة الغربيَّة- لن تحقِّق الهيمنةَ والتقدُّمَ إلَّا من خلال تبني الآخرين لها، والغالب على منظري العولمة القول بأنَّ النموذج الحياتي والعلمي المتقدِّم لا يمكن أن ينتشر بدون انتشار النَّقافة التي قام من خلالها، وأياً كانت البواعث على نشر العولمة نموذجًا حياتيًا، فهي في النَّهاية محاولة لنشر الحضارة الغربيَّة في مختلف أرجاء العالم<sup>(49)</sup>. لقد تميزت الشعوب ذات الهوية الدينية وخاصة الإسلامية المعتدلة القائمة على الفكرة أنَّها أكثر صلابة في مواجهة العولمة لذا فقد استبدلت أساليب التعامل معها وتحويل أفكارها بالعنف والإرهاب وسحق المجتمع وتفكيك أواصره بأساليب خبيثة وخطيرة.

#### المواطنة والأقليات وفقه الأقليات:

السياق الديني في الاسلام لا يقتصر على تأصيل فكرة (الأقليات كمواطنين لا رعايا ذميين)، أو على تجديد المقاربة بقدر ما أنه إعلان محاكاة الواقع.. للنص وليس العكس، أي درجة تفاعله مع القضايا الكبرى التي تعيد تعريف الإنسان نفسه، من زاوية الحق في الحياة، وفي الاختلاف، وفي حرية المعتقد<sup>(50)</sup>. ووفق تلك الرؤية فينبغي على الفقهاء والمنظرين الإسلاميين اليوم أن يعيدوا النظر في بعض من المفردات القديمة التي بُنيت على النظريات لا على التطبيق، أو أنَّها كانت تخدم حالة وواقعاً معيناً من التاريخ الإسلامي، واستدعاء فقه الواقع والأمثلية في التنظير والتجديد والتطبيق.

هناك شقان للإشكالية لا ينفصلان: الأقليات في الديار الإسلامية والعلاقة مع الآخر، والذي عادة ما يكون تمثيلاً للأقليات الموجودة في الداخل. وحالة العالمين، المسيحي والإسلامي، في علاقتهما مع منظومة القيم الكونية<sup>(51)</sup>. وهذه القضايا بهذا التقسيم لا بد أنَّها تتفرع إلى صيغ وأحكام كثيرة تتنوع بتنوع العلاقات وطبيعة الدول وأحكامها ودساتيرها؛ إلا أن الحاكم في هذه المسائل هو بناء الأحكام والتشريعات

(49) ينظر: إحياء التقاليد العربية، رفيق حبيب، دار الشروق، القاهرة، 2003. ص 93.

(50) ينظر: الأقليات الدينية.. سؤال العقل والمواطنة، عبد الحميد اجماهير، موقع على الانترنت.

(51) ينظر: م. ن .



الدينية بما يخدم قية المواطنة الحقّة للجميع باعتماد أساليب الأمثلية في دراسة الحالات واختيار ما يناسبها بحسب ما يفرضه ويختاره الواقع المعاش.

الجانب الآخر هو اقتراب التشريعات في البلدان الإسلامية المعنية، خصوصاً وأنّ التجديد الإسلامي، يمكن أن يعطي انسجاماً شاملاً لشعوبٍ عديدة، وتقليص التناقضات الموجودة اليوم بين الدساتير المتنافرة. ودراسة هذا التجديد، على اعتبار أنه تغيّر في سلم القيم، وكيف ستصبح العلاقة غداً مع باقي المعمورة؟<sup>(52)</sup>. هذا لنكون كما يريد دين الرحمة؛ دين قوة وتقدم وتسامح وتعايش. هذا سيمتد ويتحرّك إلى تغيّر النظر في القواعد الفقهية المؤثرة في تحدد الآخرين ومكانتهم في النسيج الوطني؛ باعتبار أن المواطنة هي محور التنظير والتجديد، وبيان ملائمة الفقه الإسلامي مع التنوع الثقافي<sup>(53)</sup>.

#### إشكالية الإسلامية والوطنية:

إنّ فكرة الانتماء إلى الإسلام، وإلى أمة الإسلام، وإلى دار الإسلام، التي كانت سائدة في القرون الماضية منذ عصر النبوة، فعصر الراشدين، فعصور العباسيين والعثمانيين: قد لا تكون مقبولة عند غير المسلمين. على أساس أن أصل هذا الانتماء ديني، ينطلق من القرآن والسنة. هذا مع أن فقهاء المذاهب المختلفة جميعاً، قرّروا: أن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وهم الذين يعبر عنهم في الاصطلاح الفقهي بـ (أهل الذمة) يعدّون من (أهل دار الإسلام). فهم من (أهل الدار) وإن لم يكونوا من (أهل الملّة). وأنّ كلمة (أهل الدار) هذه تمثّل مفتاحاً للمشكلة، مشكلة المواطنة، لأن معنى أنهم (أهل الدار) أنهم ليسوا غرباء ولا أجناب، لأن حقيقة معناها: أنهم أهل الوطن، وهل الوطن إلا الدار أو الديار؟ وإذا ثبت أنهم أهل الوطن، فهم (مواطنون) كغيرهم من شركائهم من المسلمين. وبهذا تحلّ هذه الإشكالية من داخل الفقه الإسلامي<sup>(54)</sup>.

(52) ينظر: الأقليات الدينية... سؤال العقل والمواطنة، موقع على الانترنت.

(53) ينظر: م.ن.

(54) ينظر: الانتماء الفكري ودوره في تعزيز الانتماء للمجتمع والوطن، زكية ابراهيم الحجي

رابط الموضوع <http://www.assakina.com/news/news1/5...#ixzz3MHmZCD6d>



وأنكر الإسلام العصبية بكل أنواعها، سواء كانت عصبية قبلية، أم عصبية قومية، أم عصبية إقليمية، أم أي عصبية كانت. روى الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: {مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُثْمِيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ، فَقَتَلْتَهُ جَاهِلِيَّةٌ}. يقول الكاتب والباحث العراقي حسين علي الحمداني: "استجابة التشريع الإسلامي لسنن الحياة الاجتماعية أمر جلي وواضح، لكن استجابتنا نحن أو تقديرنا للمسألة الاجتماعية محل النقاش قد يشوبها خلل وذلك الذي يحتاج إلى مداورة ونقاش. وهنا فالإسلام يُقرّ بعملية الانتماء الاجتماعي للأسرة (ادعواهم لآبائهم)، والقبيلة (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)، والدولة (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه) وجعلها أحد مقاصد الحياة الاجتماعية. ونسب القرآن الرجل لبلاده، ولكنه في الوقت ذاته أكد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منّا من دعا إلى عصبيةٍ، و ليس منّا من قاتل على عصبيةٍ، و ليس منّا من مات على عصبيةٍ)<sup>(55)</sup>. وأحداث السيرة مليئة بشواهد كثيرة في هذا المعنى. لكن المسألة المهمة هنا هي أن تجاوز الناس لحدود معنى القبيلة أو العصبية أو الإقليمية لا يعني إبطال مفعولها إسلامياً وفطرياً، ذلك أن الإسلام لم يأت ليمنع ما فطر عليه الناس لكن ليهذب ذلك المعنى وذلك السلوك. والحقيقة التي لا شك فيها هي أن الإسلام يؤكد إعلاء الرابطة الدينية على كل رابطة سواها، سواء أكانت رابطة نسبية أم إقليمية أم عنصرية، فالمسلم أخو المسلم، والمسلم أقرب إلى المسلم من أي كافر بدينه، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، وهذا ليس في الإسلام وحده بل طبيعة كل دين وكل عقيدة. والوحدة المطلوب تبنيتها على مستوى العقيدة غير تلك المطلوبة على مستوى الوطن فالأولى أرقى وأسمى من أن تحدّها الحدود والأخرى بطبيعتها ووظيفتها لها حدود<sup>(56)</sup>. ولعل الفكر الذي نستشعر ضرورة مراجعته هو القبول بالجملة أو الرفض بالجملة للوقائع والمسائل والمستجدات الحادثة، ولذلك فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى (منهج يعتمد على التفصيل في الأشياء والموازنة بين الأمور) وذلك منهج شرعي نحتاج إلى مدارسته وتبسيده.

(55) حسنة السيوطي في الجامع الكبير برقم: 7684.

(56) ينظر: الانتماء الفكري ودوره في تعزيز الانتماء للمجتمع والوطن، زكية ابراهيم الحجي

رابط الموضوع <http://www.assakina.com/news/news1/5...#ixzz3MHmZCD6d>



ومما ذكرناه آنفاً فإنَّ الفهم الذي نريد التأسيس له وتأصيله هو أن الحدود الواقعية معتبرة وأن وحدة الأمة لا تتعارض وخصوصية وطنيتها، فلكلِّ أهميته واعتباره وآثاره لكن نفي أي منها لصالح الآخر يعكس تقصيراً في استدراك حقائق الوطنية وأبعادها ومقاصدها من جهة والشريعة الإسلامية من جهة أخرى.



## الفصل الثاني

### النظرية النبوية في المواطنة وبناء الدولة

تعد النظرية النبوية أساساً للمشروع الحضاري النبوي في النهوض بالمواطنة الفردية والمجتمعية والأمية على السواء وبناء فقه الانتماء وترسيخه. أما الاقناع الفكري الذي مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاساس الذي بنيت عليه النظرية النبوية وما حققته من تحويلات إيجابية ارتقت بالنظر والقناعة إلى مستوى الأمثلية الفكرية التي بني عليها تطبيق صادق.

#### النظرية النبوية:

النظرية النبوية نقصد بها هنا الركائز التي قام عليها المشروع الحضاري النبوي في النهوض بالمواطنة الفردية والمجتمعية والأمية<sup>(57)</sup> على السواء وبناء فقه الانتماء وترسيخه ؛ إذ يعد الاقناع الفكري الذي مارسه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاساس الذي بنيت عليه النظرية النبوية وما حققته من (تحويلات فكرية) إيجابية ارتقت بالنظر والقناعة إلى مستوى الأمثلية الفكرية التي انبنى عليها تطبيق صادق ، نما في الواقع نمواً هائلاً أثار إعجاب الدارسين له فكان أنموذجاً مجتمعياً فريداً.

وتعد السنة النبوية مثلاً وافراً لهذه (التحويلات الفكرية) التي بنيت عليها قضايا المواطنة الفردية والمجتمعية على السواء وفقه الانتماء إلى الدين وإلى الأمة ، وبروز ذلك لدى الصحابة رضي الله عنهم كهوية واضحة هي كالحجة البيضاء ليلها كنهارها لا لبس فيها ولا شك ولا تردد.

---

(57) من غير الصواب الدعوة إلى عالمية الحكم ؛ كأن يحكم العالم الإسلامي اليوم جهة عليا تفرض نفسها كمرجعية عليا أو مرشد عام ، بل إنّ لكل وطن من يحكمه من أفراد شعبه، فيبرز دور المواطنة وتنطلق طاقاتها عند أفراد الشعب والمجتمع ، وتنظم الحياة. وتكون المواطنة بذلك حصناً للأمة وللدولة ضد أساليب أعدائها، فلو نجح الأعداء بإسقاط دولة للمسلمين فشل في دول عديدة أخرى، فتكون المواطنة كمضاد حيوي يعالج ما أصاب جسد الأمة عموماً بدولها المختلفة وشعوبها المنوعة.. ولعلنا نقف اليوم على نماذج من ذلك ما حصل للدول العربية بعد صحوة الربيع من تمزيق لكياناتها ولنسيجها المجتمعي حدث ذلك في دول المشرق كسوريا واليمن ومصر وليبيا، بينما تغلّبت على الأزمة دول المغرب كتونس والمغرب.



لقد تركزت تلك (التحويلات الفكرية) على قضايا الأخلاق بشكل واضح، فقد قال رسول الله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)؛ إذ بُعث رسول الله ﷺ في مجتمع يعرف مكارم الأخلاق ويمارسها في كثير من تفاصيل حياته، فنجد الكرم، والمروءة، والشجاعة، وقرى الضيف، والفروسية، والولاء، وغيرها، ولكنها أخلاق يشوبها نقص واضح إذا ما وزنت بالميزان النبوي؛ إذ يمارس العربي خلق الكرم ليقال كريمٌ وكانوا يقصدون الشعر في تخليد ذلك الخلق العظيم، ونجد دافع الشجاعة عندهم تباهاً بالقوة والجرأة، ونجد الولاء محصوراً على العشيرة منزوياً ضيقاً. فلم يرض الميزان النبوي الوقوف على هذه المكارم عند هذه الحدود بل ارتقى بها إلى مستويات عالية (أمثلية) تُخلد ذكرها في السماء كما في الأرض. فجعل الكرم ابتغاء مرضاة الله سبحانه وجعل جزاءه عند الله عظيماً. وجعل الشجاعة لا ليوصف صاحبها بالشجاعة فحسب وإنما دفاعاً عن دين أو عرض أو حق، وجعل ذلك كذلك في ابتغاء مرضاة الله. وجعل الولاء لله ولدين الله لا لعشيرة أو عرق. فكانت مكارم الأخلاق بتلك النقولات الفكرية مُتممةً حق التمام. وكانت غاية بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام ذلك. وورد في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "لَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرًا فِي مَسْجِدِي هَذَا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَفُضِّبَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ" (58).

### لماذا (النظرية)؟

لماذا أطلقنا على القضية التي نتناولها هنا بـ (النظرية) علماً أن النظريات قد تفتقر إلى التطبيق؟ السبب في هذا الاختيار أن ما قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحويلات فكرية مارسها على صحابته إيماناً بها وتطبيقاً فعلياً واقعياً، ثم مارسها صحابته من بعده ونقلوها إلى التابعين إيماناً بها وتطبيقاً فعلياً واقعياً، أصبحت هذه التحويلات العملية في أجيال لاحقة مجرد نظريات سامية يؤمنون بها ولا يقدرّون على تطبيقها؛ بالتأكيد ليس الأمر متعلقاً باستحالة تطبيقها لأن الأجيال السابقة قد مارسها

(58) حديث مرفوع: عن أبي بكرٍ أحمدُ بنُ سُلَيْمَانَ الْفَقِيهَ النَّجَادُ، ثنا الْحَسَنُ بنُ مُكْرَمٍ، ثنا دَاوُدُ بنُ الْمُحَبَّرِ، ثنا سُلَيْمَانُ بنُ أَبِي سَرِيحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ .



وطبقتها بخدافيرها ولكن بفعل ما أصابهم من الوهن والضعف النفسي ، إنها حقيقة تعد اليوم أكبر تحد للفرد المسلم وللمجتمع المسلم .

لو أخذنا على سبيل المثال حديث: ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) في معالجة أمراض المجتمع وعلاقة الفرد بغيره ؛ أو تناولنا حديث: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ).. نجد أن هذين الحديثين قد أصبحا من التحديات الخطيرة أمام الفرد المسلم والمجتمع المسلم على حدٍ سواء ، فصارا بمثابة النظريات التي يتعذر تطبيقها. وغيرها مئات من الأحاديث والممارسات والتوجيهات والتحويلات النبوية التي مارسها رسول الله في إعادة تشكيل العقل البشري؛ تلك التحويلات التي اختص بها جيل الصحابة رضي الله عنهم فحازوا مرتبة الخيرية على القرون كلها.

ثم إن وصف ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من (تحويلات فكرية) ينعكس بعد ذلك واقعاً تطبيقياً عملياً بأنه نظرية نبوية يكون فيه ما فيه من تحريك القدرات والارادات لدى المتلقين في تحويل تلك النظريات لديهم إلى واقع عملي تطبيقي فيعمل على تفعيل تلك التحويلات في ذاته وواقعه العملي مع الحياة والمجتمع ، فيكون في هذا العنوان للتحويلات النبوية إيجابية الحث والتفعيل لدى المتلقين.

ولعل من أمثلة ذلك قوله ﷺ : ( يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء. الناس من آدم و آدم من تراب ) فهذا الحديث تضمن نقلة فكرية عظيمة وتحويلاً نحو الترقى من الفردية إلى الأممية ، ومن الأنانية إلى العالمية. وبحسب هذه الرؤية الجديدة تمكن الصحابة من بناء الدولة العالمية التي بلغت بعد المشرقين. ثم صار ذلك الخلق عند المتأخرين من المسلمين حالة نظرية يرونها غير قابلة للتطبيق.

### مثال لإقرار النبي لخلق من أخلاق العرب قبل الإسلام:

لعل نبينا صلى الله عليه وسلم يوماً كان جالساً مع أصحابه فقال: ما ذكر لي أعرابي وأردت أن أراه إلا عنتره بن شداد العبسي ، فتمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية هذا الأعرابي أو تمنى اللقاء به لأنه مات قبل الإسلام فلم يحظ بزمن النبوة ؛ فقال الصحابة : ولم يا رسول الله ، قال لأنه يقول:



حتى يوارى جارتى مأواها  
لا أتبع النفس اللجوج هواها

ولم تدر أين الخطأ والصواب  
يقود النفوس الى ما يعاب

وأغض طرفي ما بدت لي جارتى  
إني امرؤ سمح الخليفة ماجد  
وقديماً قالوا:

إذا حار أمرك في معنيين  
فخالف هوك فإن الهوى

هنا أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة سبب شوقه للقاء رجل هو ليس مسلماً أصلاً لأنه قد مات قبل الإسلام ؛ لكنه يمتلك الخصال التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوق إلى لقائه، فمن خلال ما قاله في شعره أظهر قيمة ذلك الخلق النبيل مع الجارة ؛ إذ بلغ فيه حدّ الأمثلية التي لا تحتاج معها إلى قيمة تحويلية تمارسها عليه النظرية النبوية في الأخلاق ؛ فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على رضاه على هذا الخلق النبيل بالكامل الذي كما قلنا لا يحتاج إلى تنميم ؛ فهذا الخلق مطلوب مجتمعياً لذاته ، وكان ولا زال من يمارس هذا الخلق النبيل ذو رفعة ومكانة مجتمعية محترمة. وعلى هذا الأساس فإن إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه تنعكس على الذين يتصفون بهذا الخلق إلى قيام الساعة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوق إلى رؤية أمثالهم ؛ بل وأكثر من ذلك فإن هذا الفضل يعمم على كل من التزم بخلق نبوي أو خلق أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم كهذا الخلق لعنترة بن شداد العبسي.



## المبحث الأول

### النظرية النبوية في المواطنة - وثيقة المدينة أمودجا-

تعد هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى يثرب مفصلاً مهماً ومنعطفاً كبيراً في صيرورة نواة بناء الدولة الإسلامية<sup>(59)</sup> ، وإقامة أركانها واستقامة بنائها ، والذي يعد امتداداً لمسيرته صلى الله عليه وسلم في مكة؛ فقد كانت هذه الرؤية واضحة لدى رسول الله كل الوضوح ، وهو يعمل ضمن خطة واضحة المعالم وبخطوات ثابتة، كما أن مشركي مكة وقفوا على هذا التصور وعلموا أن أمام محمد صلى الله عليه وسلم مشروعاً كبيراً وكاملاً يؤدي في نهاية الأمر بحسب تصوراتهم إلى الاطاحة برئاستهم على المجتمع ، لذا فقد عرضوا على أبي طالب قولهم: (لو أراد السيادة جعلناه سيداً فينا) وهم بذلك يحافظون على مكانتهم كأسياء لمكة. كما أنهم أدركوا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى يثرب مقدار الخطر الداهم بدولتهم في مكة وتحالفاتهم خارجها.

لقد أعد محمد ﷺ العدة لإنشاء دولته قبل أن يعرف أين ستكون وجهته، نعم.. فقد كان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج فيشرط عليهم الأرض والمنعة؛ يشرط على القبيلة التي توافق على مشروعه؛ أن تمنحه حرية العيش على أرضها وأن تعاهده على نصرته فكرته ودعوته وهو بالمقابل فقد وعدهم الوعود التي ألهمه الله تعالى من خيرى الدنيا والآخرة. إنها فعلاً البداية التي انطلق منها هذا النبي القائد لإنشاء دولة الإسلام ؛ بداية عملية فتية سائرة بحسب مقتضيات الوحي الإلهي .

ومن الأسئلة المهمة التي غالباً ما تتبادر إلى أذهان الباحثين: هل أن ما قام به رسول الله ﷺ من الأعمال في المدينة أفضت إلى قيام كيان سياسي مؤسسي؟ وهل يصلح أن نطلق على هذا الكيان اسم (الدولة) المتعارف عليه اليوم؟ . إن الاجابة على مثل هذه الأسئلة لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار الفوارق الحضارية التي طرأت على مشروع إقامة الدولة بكل شموليته وفروعه خلال أربعة عشر قرناً من الزمان، وعلى

---

(59) الدولة الإسلامية بحسب مفهوم المعاصرة إذ لم يكن مفهوم الدولة معروفا حينها بل هو مصطلح عصري وقد أشرنا في المدخل إلى مصطلح الدولة لغة واصطلاحاً.



من يحكم على ذلك أن يؤسس في ذهنه وتصوراته محاكاةً للواقع الذي يعيشه القوم في ذلك الزمان، من ذلك فقدان التكنولوجيا نهائياً التي أصبحت اليوم وسائلها سر نجاح الدولة فعلاً. هكذا إذن فإنه ليس من المنطقي أن نستدعي ما كان قائماً آنذاك فنضعه قبالة ما هو موجود اليوم ثم نجري مقابلة قائمة على قياس محض مجرد. فنضع دولة المدينة الفتية التي أقامها الرسول قبل أربعة عشر قرناً قبالة ما آلت إليه دولة اليوم الحديثة المعاصرة بكل أشكالها وتنوعاتها. وهذا إن تم فإنما يترتب عليه ضرورة تجاوز خطأ آخر هو اعتماد المقياس نفسه أعني مقياس نجاح حضارة ما بمقياس نجاح حضارة أخرى يفصل بينهما الزمان والمكان. لذا وللإجابة عن هذا السؤال المهم الذي طرحناه وطرحه الباحثون من حقيقة إقامة كيان دولة في المدينة بقيادة رسول الله ﷺ نقول: لا بد من الوقوف على مقومات الدولة المشتركة في الأزمنة والأمكنة. ولعلنا نقف بذلك على ما أطلق عليه اليوم بالمواطنة وفقه الانتماء لدى أفراد الفريقين من الدولتين اللتين نريد إجراء المقابلة بينهما، فيكون ذلك مقياساً مناسباً لاستدعاء البعد الغائب إن وجد في دعم وترسيخ قيم الهوية والانتماء في دولتنا وبين شعوبنا. من أجل ذلك فإننا سنكشف عما قرره الدراسات الحديثة في تحديد ركائز الدولة وأركانها المشتركة التي لا بدّ منها.

إن قيام أي دولة لا يمكن أن يتم ما لم تتوفر فيه أركان أساسية عدة وأخرى ثانوية تشكل باجتماعها أسس بناء الدولة ويمكن تشخيصها بما يأتي<sup>(60)</sup>:

1. السكان الذين تتبلور في أذهانهم فكرة الدولة ويشكلون المجتمع.
  2. الأرض التي يعيش في حدودها السكان.
  3. القوانين والأنظمة التي تحدد طبيعة نظام الحكم والإدارة على وفق دستور يقره ويعترف به الجميع<sup>(61)</sup>.
- ولعلني هنا أضيف ركناً آخر يعد ضرورة من ضروريات قيام الدولة وديمومتها وهو القوة والمنعة التي تحمي تلك الدولة وتصون دستورها وقوانينها.

(60) ينظر: وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية، د.حاتم كريم جواد اليعقوبي، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، مجلد 1، إصدار 11، العراق، 2012، ص 145.

(61) لمعرفة المزيد عن أركان الدولة: ينظر: مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية، د.كمال الغالي، مطبعة جامعة دمشق، ط 2، 1967-1968م، ص 21-42.



## الإنسان هو المتغير الوحيد:

الإنسان الذي يعيش في هذه الدولة هو المحور المحدد لأركان الدولة كلها ، هو المقياس الحقيقي الذي لا يختلف عليه اثنان، فالدولة تقام من أجله ولأجله ، وهو الذي يحكم على هذه الدولة بالنجاح أو الفشل ، من هنا يمكننا اعتبار الإنسان وجه المقابلة الأقوى والأمثل في التمييز بين دولة وأخرى دون اعتبارات الفوارق الزمانية أو المكانية، أو بمعنى آخر وبحسب المنطق الرياضي العلمي أن نجعل لنا متغيراً واحداً في معادلتنا هذه؛ هو الإنسان، بينما نعتبر العوامل الأخرى ثوابت لا تؤثر في القياس والتقييم، وبذلك ستظهر لنا قِيمَةً أصيلة في بناء الدولة هي المواطنة الانسانية والانتماء الانساني لهذه الدولة أو تلك. هذه الفكرة بحد ذاتها تعد ثورة كبرى في عالم الانسان في كل زمان ومكان قال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) [سورة: الإسراء].

يجرنا هذا القول إلى البحث عن أهم الحقوق المتفق عليها حول هذه المفاهيم الانسانية ، فنأتي إلى قضية المواطنة وحقوقها ، فما تلك الحقوق التي استخرجتها التجربة الانسانية العملية ووقفت على أهم ركائزها ومنحتها بعد الرياسة والصدارة في إقامة الدولة وديمومتها، ولعل من أهم الحقوق المتفق عليها لمفهوم المواطنة فنقول: الاعتراف بالآخر ، سواء تمثل في الاعتراف بالديانات السماوية الأخرى واحترامها قال تعالى: (لا إكراه في الدين)، أو من خلال الاعتراف بوجود الثقافات الأخرى واحترامها قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم لأدم وآدم من تراب) ، أو احترام حقوق الآخرين وحرّياتهم.

هذه هي الركيزة الضرورية لإقامة وتفعيل المواطنة في فئات الأفراد يمكن أن تكون بدورها مقياساً حضارياً مهماً لكشف صيرورة الدولة من عدمها ولتمثل وجه المقابلة في الحكم على دولة المدينة الفتية، ثم تأتي مقاييس أخرى أقل منها شأنًا لاستكمال التصورات السياسية والادارية والاجتماعية والعسكرية وغيرها في تقييم الدولة ومكانتها.

لقد قدّمت دولة المدينة التي أقامها محمد ﷺ نظاماً جديداً فريداً مرتبطاً بالسماء بحسب الشريعة الإلهية التي لم يكن لها وكيل في الأرض من البشر سوى محمد ﷺ ، نعم لقد جاءت رسالة محمد ﷺ بميلاد نظام جديد لمفهوم الدولة وإدارة البلاد لم يعهده العرب من قبل ولا غيرهم على وجه الأرض؛ إذ كان نظام القبيلة هو السائد، فكان رؤساء القبائل هم الممثل الشرعي لرئاسة هذه الأرض أو تلك، مستمدين شرعيتهم



من قوة عشائريهم وتعدادها وكثرة فرسانها وتجارها وشعرائها وما تمتلكه من أسباب القوة. لقد كان الإنسان أيضاً هو المحدد الرئيس لقوة وجود الدولة بحسب المفهوم العشائري في تلك المجتمعات، ولكنه وفق نظام خاص مختلف يبقى بحسب مقاييس اليوم لأنظمة الدولة الحديثة نظاماً بسيطاً لا يرقى إلى مستويات ما تستدعيه الحضارة الإنسانية العليا في قيادة العالم بأسره.

هذا الأمر يقودنا إلى سؤال آخر قد يراود أذهان الباحثين في هذا الميدان هو: هل نجح العرب في إقامة دول قبل دولة الإسلام؟.. نعم يرى البعض أنهم قد نجحوا في إقامة دولهم كما ينفي آخرون<sup>(62)</sup>. وبالتأكيد فإن هذا الاختلاف في رأي الباحثين سببه اختلاف المقياس المعتمد في تحديد مقومات الدولة؛ فمنهم من نظر إلى الأرض وطبيعتها ومواردها فجعلها مقياساً لإمكان إقامة الدولة من عدمها؛ فأرأوا أن الصحراء غير مؤهلة لبناء وإقامة دولة آمنة مستقرة. ومنهم من اعتمد مقياساً آخر باعتبار التجمعات البشرية والاجتماعية الكبيرة وطرق التجارة والصناعات اليدوية فعدوا ذلك أساساً في اعتبارها دولاً مناسبة لذلك العهد الزمني.

ويبدو من استقراء تاريخ تلك الكيانات السياسية أنها تتمتع بمواصفات الدول وأسسها، كما تجدر الإشارة إلى أن مصطلح الدولة العربي يفتقر إلى المفهوم التجريدي للدولة؛ وهو يختلف نوعياً عن المفهوم الكلاسيكي التاريخي للدولة؛ إذ لم يكن معروفاً مفهوم الدولة المؤسسية الكيانية والسياسية بمعناها الحديث إلا في العصر الحديث<sup>(63)</sup>. ومن الجدير بالذكر نشوء دول كثيرة على أرض العرب ففي جنوب الجزيرة العربية لا سيما في اليمن (معين - قتبان - سبأ - حمير) من 1300 ق.م. إلى 527م<sup>(64)</sup>. كما قامت في شمال الجزيرة إمارات؛ كإمارة الحيايين، وكندة، والأنباط، وتدمر، والغساسنة، والمناذرة. أما في أرض الحجاز فقد شهدت وجود مجتمعات ثلاثة أساسية في مكة والطائف ويثرب؛ ولعل مكة كانت أشهرها وأهمها لمركزها الديني ثم التجاري<sup>(65)</sup>.

(62) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها - ، أ.م.د. مهدي صالح العبيدي، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2012، إصدار 44، صفحات 293-308، ص 294.

(63) ينظر: م.ن.، ص 295.

(64) ينظر: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، د.محمود اسماعيل، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1408هـ-1988م، ص 29.

(65) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها - ، ص 295.



## الرسول ونظامه للدولة:

وعود على النظام الجديد الذي قدّمه رسول الله ﷺ في المدينة بعد وصوله إليها ، نجده بعد أن قام ببناء المسجد والمؤاخاة، قدّم نظاماً دستورياً متمثلاً بالصحيفة؛ شرح من خلاله القواعد التي يلتزم فيها الرسول في ممارسة السلطة والوسائل والشروط الملزمة له وللناس من أهل المدينة. وبينت المصادر الدينية والتاريخية أنه صلى الله عليه وسلم أخلص غاية الاخلاص في تطبيقه والمحافظة عليه وصونه من الاختراق أو الفساد. إذ يعد ذلك هو الأساس في ممارسة السلطة في المدينة.

فقد عاج رسول الله ﷺ من خلال هذه الوثيقة أو الصحيفة معظم المسائل الدستورية؛ فبيّن فيها مسارات الحكم، وكافة الحقوق وأنواعها، وكافة الواجبات وصورها ، وحدد العقوبات وبين مستحقيها ، والأهم من ذلك كله صان حقوق الانسان والمواطنة كلها. فكانت دولة المدينة كياناً سياسياً روحياً أخلاقياً<sup>(66)</sup> متكاملًا تصونه أنظمة غاية في الدقة مستمدة من الوحي الإلهي.

وقد أثبت العلماء صدق هذه الوثيقة وصحة ثبوتها ودقة انسجام لغتها مع لغة الناس في زمن الرسول ﷺ، فأكد الشيخ محمد الصادق عرجون صدقها وثبوتها<sup>(67)</sup>، وأكد كذلك الدكتور محمد حميد الله صدقها وثبوتها<sup>(68)</sup>، وأما الدكتور أكرم ضياء العمري فقد أكد بأن وثيقة المدينة ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة<sup>(69)</sup>.

(66) وهذه المفاهيم في إقامة الدولة تختلف كثيراً عمّا قدّمه الغربيون في كثير من نتاجاتهم فنجد المفكر الانكليزي توماس هوبز يذهب في تعريفه للدولة أنّها: (رجل صناعي صنعه البشر بغية التوصل إلى السلام ، كما صنعوا سلاسل اصطناعية تدعى القوانين المدنية) [المصدر: الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، توماس هوبز ، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ط1 ، أبو ظبي ، 2011م ، ص 218]، كما أنكر هيغل المعيار الأخلاقي لتصرفات الدولة التي قال عنها أن الدولة وعي العقل المطلق المتيقن الذي لا يعترف بسلطة عدا سلطته ولا يقر أي قواعد مجردة للخير والشر. [المصدر: ينظر: الدولة في النظرية والتطبيق، هارولد لاسكي ، ترجمة أحمد محمد غنيم وكامل زهيري، دار النديم ، القاهرة ، د.ت. ، ص 49]. وتلاحظ هنا الفرق الكبير بين إنسانية دولة محمد صلى الله عليه وسلم ومادية الدولة الغربية التي يعرضها هؤلاء الباحثون التي جعلتها دولة لا إنسانية بالمقاييس كلها. (67) ينظر: محمد رسول الله ، محمد الصادق عرجون: 170/3 - 175.

(68) ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله: ص 39-40.

(69) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: 2001 ، 275/1، ويشير الدكتور إبراهيم العلي في كتابه (صحيح السيرة النبوية ص 200-201) أن نصوصاً من هذه الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص



لقد اتضحت أولى الإرهاسات الاجتماعية والاخلاقية للوثيقة ؛ ذلك بأن أغلبها يدور حول تنظيم الحياة في مجتمع المدينة. فنظمت هذه الوثيقة شكل الدولة، وحقوق الحاكم واختصاصاته ، وحقوق الأفراد ، وحدود حرياتهم تنظيمياً مفصلاً ودقيقاً<sup>(70)</sup>. ووضع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسس الرصينة لقواعد المجتمع الإسلامي الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والاجتماعية بين المهاجرين والأنصار؛ فكانت المؤاخاة خطوة أولى نحو بناء ميثاق شامل لسكان المدينة كلهم؛ فعُدَّت وثيقة المدينة وحدة عقائدية وسياسية ونظامية شملت المسلمين من المهاجرين والأنصار وغيرهم من اليهود والمشركين من سكان المدينة. ومن المهم القول بأن البحث الدقيق يؤكد أسبقية دولة المدينة كأول دولة في التاريخ أخضعت نفسها سلطة وأفراداً للقانون، ومارس فيها الحاكم السلطة وفقاً لدستور مدون مصحوباً ذلك مع الإرادة الصادقة والأمانة العالية في إقامة ذلك الالتزام مهما كانت الظروف وهذه أهم مقومات النجاح، في وقت كان العالم كله لا يعرف خضوع السلطة للقانون وتقييدها ؛ بل يعرف خضوع الأفراد بعضهم لبعض بحسب منطق الأقوى دون قواعد أو قيود لحماية حقوق الأفراد وحرياتهم<sup>(71)</sup>. كما أن وثيقة المدينة عدت أول وثيقة دستورية مدونة في التاريخ؛ وليس كما يقال أن أول مدونة دستورية كانت دستور فيلادلفيا عام 1787م ، ومن ثم الدستور الملكي الفرنسي عام 1791م وهو بالطبع أول دستور فرنسي مكتوب ، فكان دستور المدينة قد سبق هذين الدستورين المكتوبين بأكثر من عشرة قرون<sup>(72)</sup>.

---

هي من الحديث الصحيح، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي، وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة، كذلك فإن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها؛ فنصوصها مكوّنة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب، ويكثر فيها التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم، ثم قلّ استعمالها فيما بعد؛ حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقدح فرداً أو جماعة، أو تخصّ بالإطراء أو الذم؛ لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة، ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي -صلى الله عليه وسلم- الأخرى يُعطيها توثيقاً آخر.

(70) ينظر: وثيقة المدينة -الدولة طبيعتها ووظائفها- ، أ.م.د. مهدي صالح العبيدي ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 2012 ، إصدار 44 ، ص 297.

(71) ينظر: م.ن.

(72) ينظر: م.ن. ، ص 293-308.



## ظاهرة الأمن والسلم المجتمعي:

لقد أشارت الوثائق التاريخية أن أول اهتمامات الرسول في المدينة كان تركيزه واهتمامه على إقامة السلم المجتمعي في المدينة ، وضمان تنظيم المدينة على وفاق التسامح والتجاوز التي كانت سابقة في حينها لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والمغالاة في الأحساب والأنساب<sup>(73)</sup>. ومن يهود المدينة من هم من أصول عربية كانوا قد تمهّدوا بعد اختلاطهم باليهود الأصلاء كبنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة ، ومن يهود العرب يهود بني عوف وغيرهم ممن ذكرتهم الصحيفة ، وكلها فروع من قبيلتي الأوس والخزرج ممن ورد ذكر قبائلهم في الوثيقة<sup>(74)</sup>. وما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع أن هذه الوثيقة لم تذكر يهود بني قينقاع ولا يهود بني النضير ولا يهود بني قريظة؛ ولعل سبب ذلك ما سبقه من معاهدات معهم تجعلهم ضمن الوثيقة كتحصيل حاصل كما يقال. كانت هذه هي المعاهدة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين يهود العرب من قبيلتي الأوس والخزرج، أمّا نصوص المعاهدة مع قبائل بني قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة فليس هناك نسخة محفوظة منها (مع الإقرار الكامل بثبوتها واقعياً)، ولا يُوجد نقل صحيح يُشير إلى بنودها التفصيلية، وإن كان الغالب أنّها البنود نفسها؛ لأن شواهد التعامل مع يهود تلك القبائل الثلاث بعد ذلك كانت تُشير إلى وجود مثل هذه البنود في معاهداتهم. ولعل من مظاهر ذلك تلك المعاهدات التي عقدها رسول الله ﷺ مع يهود المدينة ؛ من بني النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة على أن لا يعتدوا على المسلمين ولا يوالوا أعداءهم ، أو يشاركوا في حروب خارج أو داخل المدينة ويقابله أن على المسلمين احترام دينهم وحفظ دماءهم<sup>(75)</sup>. لقد كان اليهود أقرب من يُجاور المسلمين في المدينة، وهم وإن كانوا يُبطنون العداوة للمسلمين، إلا أنّهم لم يظهروا مقاومة تذكر أو خصومة لمشروع الرسول الجديد بعد؛ فعقد معهم رسول الله ﷺ هذه المعاهدة التي قرّر لهم فيها النصح والخير، وترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال، ولم يتّجه إلى

(73) ينظر: الرحيق المختوم ، الشيخ صفى الرحمن المبار كفوري ، ص 136.

(74) ينظر: ما هي وثيقة المدينة أو معاهدة المدينة التي كانت بين الرسول واليهود ؟ ، د. راغب السرجاني ، موقع ألكتروني.

(75) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها- ، صفحات 293-308.



سياسة الإبعاد أو المصادرة أو الخصام<sup>(76)</sup>.

لقد مثل اليهود في المرحلة الأولى - بعد إعلان الوثيقة - الجهة المحايدة ظاهرياً ؛ إذ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحويلهم من جانب الحياد الظاهري إلى جانب الإيمان والتأييد له ولنظامه المتمثل بالدستور الجديد.

إلا أن رؤساء اليهود مارسوا تحويلاً معاكساً مع متبوعيه من الشعب اليهودي فحوّلهم تحويلاً معاكساً من حالة الحيادية إلى حالة العدا للرسول صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى<sup>(77)</sup>: (ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) [المائدة: 13].

إن مواد هذه الوثيقة تُثَبِّتُ بما لا يدع مجالاً للشكِّ ما كانت عليه دولة الرسول ﷺ - وهي في المرحلة الأولى من البناء والتأسيس - من صون لحرّيات الجماعات والأفراد ، وإفساح المجال للآخرين في المشاركة والمعايشة القائمة على التعاون والاحترام، كما يظهر ذلك من خلال القراءة المتأنّية لبنود هذه الوثيقة، فإن قبول الآخر، والتشريع لأجله، ولأجل ما يُنظَّم حياته بين أفراد المجتمع المسلم، ويحفظ له حقوقه ويردُّ عنه الظلم .. فيؤسس ذلك وجوه الارتياح للآخر، والاستقرار وطمأنينة العيش، ويبني الثقة بين أفراد المجتمع كلهم مهما كانت المذاهب ومهما اختلفت العقائد. وكان ذلك بنداً رئيساً من بنود السلم المجتمعي المنشود. كما أن ذلك العهد الذي أبرمه النبي ﷺ مع يهود المدينة هو بمثابة أول وثيقة تُوقَّعها دولة المسلمين مع طائفة أخرى من غير المسلمين يعيشون معهم في مدينة واحدة في ظل وطن واحد مما ساهم في ترسيخ السلم المجتمعي وأسس لمبدأ المواطنة لأهل المدينة جميعاً.

إن العقد السياسي الذي تمثل بصحيفة المدينة تم التعبير عنه بأسلوب الميثاق السياسي الذي يؤسس مبكراً لعلاقة الاشتراك في (الموطن) لا في الدين ؛ هذا ما أراده الرسول ﷺ وأثبتته الصحيفة ؛

(76) ينظر: الرحيق المختوم، الشيخ صفى الرحمن المبار كفوري ، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ، 1424هـ - 2003م ، ص173.

(77) يتضح من الآية الكريمة حجم التسامح الذي أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود المدينة بالرغم من الخيانات الصادرة عنهم، حفاظاً منه على مقومات المجتمع الواحد متعدد الأديان ، فجعل الله العفو من قبيل الاحسان وأخلاقياته.



فدولة المدينة لم تكن دولة مسلمين فحسب بل هي دولة إنسانية قائمة على مبادئ السماء السامية التي أرادها خالق البشر أن يحيى أولئك البشر فيها ومن ثم ليحيى عموم البشر على منوالها مجسدين تلك المبادئ العليا على أرض الواقع.

إن الوثيقة أسست لتصور يمكن استرجاعه في أي مكان أو زمان يكون فيه الناس مؤهلين لديمومة هذه الأجواء والشروط التي وضعها الرسول ﷺ فيها. فالدولة الفتية تسعى لخدمة الأهداف السامية لمجتمع كان قبل قليل من عهد الهجرة متنازعاً متناحراً، تحرك ذلك النزاع أيادي الاقتصاد اليهودي التي كانت قد سيطرت على الحركة الاقتصادية فيه.

#### أسلوب التنوية المجتمعية:

لقد عمل رسول الله ﷺ على توحيد هذا المجتمع على ثلاثة مستويات؛ وهذه المستويات الثلاثة كل منها يدخل في مرحلة من المستويات الداخلية في التأليف والجمع وتكثيف الجهود حول نواة واحدة ، تكون عملية التنوية نتاجاً فكرياً أساساً أي عن فكرة مقنعة.

**المستوى الأول:** فبعد أن التقى رسول الله ﷺ بوفود من قبيلتي الأوس والخزرج، ومن ثم بايعوا رسول الله ﷺ وهي ما عرفت ببيعة العقبة الأولى، وطلبوا منه أن يرسل معهم تلميذه مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن الكريم. واجتهد مصعب بن عمير اجتهاداً كبيراً لنشر الدعوة الإسلامية، وسمي بأول سفير في الإسلام<sup>(78)</sup> ، وأقام لهم الصلاة وجمع بينهم فيتوافق مجتمعي نادر ، وزال ما بينهم من شقاق ؛ وبقي الأوس والخزرج على ذلك لأكثر من عام وهو يهيء الأرضية المجتمعية لاستقبال رسول الله ﷺ فيها. وبدأ الإسلام ينتشر في المدينة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُعد العدة ويرتب الأمور لاقناع أهل المدينة بالرسالة التي جاء بها والتي سيكون واحداً من نتاجاتها إيقاف الاقتتال الداخلي بينهم ، وهذا المستوى يمثل

(78) ينظر:.



المرحلة الأولى في التنوية المجتمعية، وكان ذلك كله قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إلى أرض المدينة ، فقد عمل رسول الله على تهيئة المجتمع المدني لتقبل دعوته قبل هجرته. وأن كل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تحويل فكري مارسوه هو وصحابته من خلال ما لديهم من معطيات فكرية عظيمة أقنعت الشعب المدني بإيجابية تلك الأفكار.



**المستوى الثاني:** فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار فكان هذا المستوى الثاني من مشروع توحيد المجتمع المدني ، فأخى بينهم على الحق والمواساة والتوارث بعد الممات دون ذوي الأرحام ، وكان ذلك في دار أنس بن مالك ، ثم نسخ ذلك الحكم وانقطعت المؤاخاة في الميراث<sup>(79)</sup>. فالمؤاخاة خطوة ومرحلة وإجراء لتدوين عصبية الجاهلية، وإسقاط لفوارق النسب واللون، فكانت فكرة التوارث بين المتأخين مرحلة مؤقتة لمعالجة عقدة كبيرة كانت كانت تخنق المجتمع خنقاً وتبدد طاقاته (هي الاقتتال والكراهية بين فريقين مجتمعين كبيرين).. ذلك فضلاً عن المؤاخاة بين قومين مختلفين مكّي ومديني،

(79) ينظر: جواهر السيرة النبوية ، الشيخ قرني طلبه بدوي ، طبع بالأزهر ، 2 ، 1971 ، ص 64.

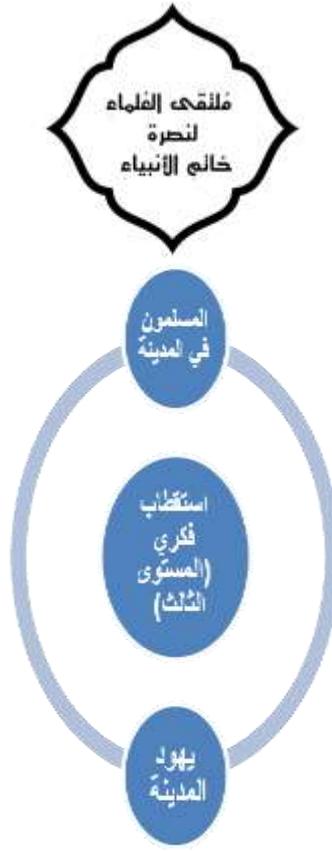


فلا حمية بعد ذلك إلا للإسلام، ولا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بالتقوى<sup>(80)</sup>. وجعل الرسول الكريم هذه الأخوة ممتدة إلى الدماء والأموال لتكون عقداً فاعلاً وإجراءً عملياً نافذاً. فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أسلوباً بارعاً لرص المجتمع وإعداده لتحمل المسؤولية الكبرى التي ستأتي بها الصحيفة كمستوى شامل لفئات المجتمع كلها، فتكون جماعة المسلمين الناتجة عن المستوى الثاني هي الضامنة لسيرة قوانين الوثيقة، وهي المنفذة لضمان تحقق المستوى الثالث من وحدة المجتمع المدني كله.



**المستوى الثالث:** وجاءت بعدها وثيقة المدينة لتؤسس للمستوى الثالث من وحدة المجتمع ولكن هذه المرة تؤسس معها مفهوماً جديداً سيكون أساساً فيما بعد وقاعدة راسخة للقادة والرؤساء ألا وهو مفهوم (المواطنة). فإن كان المستويان الأول والثاني يعتمدان مفهوم الأخوة في العقيدة، فإن المستوى الثالث والأخير إنما يعتمد مفهوم الأخوة الانسانية، والانتماء للوطن الواحد، ولكنها أيضاً خصت أهل الديانات السماوية وهم اليهود لقربهم من المسلمين. وإن كان المستويان الأول والثاني جزئيان لم يشملاً لبعض الفئات فإن المستوى الثالث أصبح شاملاً لأغلب سكان المدينة.

(80) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها - ، 298.



لقد شكلت هذه المرحلة بالنسبة إلى اليهود فرصة كبيرة لتحقيق التعايش السلمي الحضاري الذي تدعو إليه الديانات السماوية كلها، ونالوا حق (المواطنة) التي منحهم إيّاها وثيقة المدينة، ولكنهم لم يمتلكوا النفوس التي تؤهلهم للمواطنة والاندماج والانتماء إلى جماعة المدينة.

**المستوى الرابع:** وهو المستوى الأخير إذ ضم إلى التكتل السابق كل من يعيش في المدينة من المشركين وغيرهم ممن أصروا على كفرهم ، فقد منحهم الرسول فرصة المواطنة والعيش مع غيرهم من المسلمين واليهود.





هذه العملية يمكن أن نطلق عليها عملية التنوية المجتمعية ؛ أي جعل المجتمع ينضم إلى نواة واحدة يتكتل وتتكاثر جهوده حول النواة.

### استكمال مقومات الدولة:

بعد أن استكمل رسول الله ﷺ بناء المجتمع الحضاري الذي جعله قادراً على تبني مشروع إنساني حضاري ، شرع رسول الله ﷺ إلى وضع نظام منطلق هو الآخر من رؤية حضارية أسس لها القرآن الكريم؛ ذلك هو دستور المدينة ، فتكون دولة المدينة بذلك قد استكملت مستلزمات الدولة وعناصرها الرئيسة من حيث الأرض والسكان والقيادة والنظام والقوة التي سوف تحمي كل ذلك وتحافظ على نسق أمثلي في التفعيل والادارة. لقد أعدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أفكار ذلك المشروع كله وهو لا زال في مكة ؛ أعدّ ذلك كله من خلال وكلائه من الصحابة الذين أطلق عليهم اسم (النقباء) ؛ فقد أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لترتيب أمور الدولة دون أن يكشف عليه الصلاة والسلام عما يدور في خلدته من أسرار البنية الدولة التي يرمي الوصول إليها ، إذ كان قد أعطى التوجيهات دون التفاصيل ؛ فلما حضر المدينة أطلق نظامه الدستوري وأسس دولته في فترة وجيزة ، وقدم رؤية تنم عن قدرة فائقة، وإعداد مسبق مما منح مشروع إقامة الدولة فرصة كبرى للنجاح. لقد قدم محمد ﷺ الأسس الحضارية لبناء الدولة ، ثم أنزلها منزل التنفيذ على أرض الواقع ، ولم يستغرق ذلك منه إلا فترة وجيزة ، وهذا ما يدعونا إلى الاعتراف بأنها أسس وأنظمة صادرة عن وحي السماء حقاً. شغل فيها الانسان محور الاهتمام والدين دستور للحياة، و(المواطنة) الضابط والضامن لعلاقات اجتماعها السياسي ؛ أي إنها أمة تنتمي لكيان سياسي واحد (81).

بعد ذلك ظهر دور الرسول ﷺ كرسول ورئيس دولة في الوقت ذاته ، ولعل من مظاهر التحول

(81) ينظر: تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوي والسياسي ، عبد الاله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2005 ، ص 40-41.



التي حصلت في مسيرة الدعوة وخطوات العمل تنزل القرآن الكريم وآياته بما بات يعرف بالقرآن المدني على غير النهج المكي؛ إذ تناولت آيات المدينة القضايا الاجتماعية أكثر فأكثر، ونزلت الأحكام التشريعية تبين وتضبط لهم علاقاتهم مع مجتمعهم وأسرتهم ودولتهم، وصار أحد هموم الرسول ﷺ ضمان عيش كريم للناس. وأصبح دوره يتجلى في القيادة السياسية والعسكرية ويمارس السلطة ويصدر القرارات ويقود الجيوش (82)؛ بيد أن ذلك كله كانت تسيّره الإرادة الإلهية والتوجيهات القرآنية، وكان الوحي فيه حاضر المشهد موجهاً ومقوماً لمسيرتي الدنيا والدين معاً. ليقدم للناس الأسلوب الأمثل للعيش في مجتمع متماسك آمن ودولة رصينة قادرة على الحياة والاستمرار.

### الاستخلاف والإنابة عن رسول الله في إدارة أمور الدولة:

والاستخلاف أو الإنابة عن الرسول ﷺ هي من علامات السلطان السياسي في تجربة المدينة؛ إنه التعبير عن استمرارية الدولة في حال غياب قائدها، وهي علامة من علامات الاستقرار السياسي والرضا المجتمعي، وهو تعبير عن تجريد ما للسياسة والسلطان بوصفهما نصاباً عاماً لا يرتبط بشخص النبي الكريم حصراً بل بجماعة المسلمين عامة (83). لقد ارتقى رسول الله ﷺ بالفكر وحوّله تحويلات رائدة؛ ولعل الاستخلاف والقبول به هي واحدة من تلك التحويلات الرائدة، فجعل من بعض أصحابه خلفاء له في كثير من الأمور؛ كما جعل وكلاء له في أمصار بعيدة عن مركز قيادة الدولة في المدينة.

وظهرت طبقة من السياسيين والقادة والإداريين ممن كان لهم صلة بالرسول ﷺ؛ إقماً لسبقهم في الإسلام أو لخبراتهم الحياتية أو لمراكزهم في عشائرتهم؛ فكان لهؤلاء أدوارهم الرائدة في سياسة الدولة وإدارة شؤونها؛ فقد شارك هؤلاء في الرأي واتخاذ القرارات وإعطاء المشورة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(82) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها -، أ.م.د. مهدي صالح العبيدي، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2012، إصدار 44، صفحات 293-308، 299.

(83) ينظر: تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوي والسياسي، عبد الاله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2005، ص 40-41.



يمنحهم الفرص في كل أمور الدولة ، فقد كانت غايته صلى الله عليه وسلم من ذلك إعداد جيل من صحابته قادرين على إدارة الدولة من بعده ودمومة الإسلام ونشره في عموم البلدان. كما كان بعضهم ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في إدارة المدينة أثناء خروجه إلى الغزوات ، وينوب عنه بعضهم في القضاء وجباية الزكاة والجزية والكتابة (كتابة الوحي) والعقود والعهود والمراسلات ثم إقامة الصلاة والحج<sup>(84)</sup>. ومع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم فقد توافرت الفرصة الكبرى لهذه الطبقة الأمعية من الصحابة الكرام في اكتساب أصول التنمية البشرية الأصيلة التي مصدرها السماء اكتساباً تطبيقياً مفعلاً في إدارة الدولة والحياة كلٌّ بحسب اختصاصه ومكانته ومركزه من تلك الدولة.

وقد جاءت فترة حكم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وهي فترة تعدل الفترة النبوية في المدينة المنورة مضافاً إليها فترة حكم سيدنا أبي بكر الصديق التي نسميها بالفترة الانتقالية وذلك لتطابق حكم هذه الفترة مع الحكم النبوي ؛ فقد كان أبو بكر الصديق حافظاً تاماً لطبائع الرسول وأخلاقه وآرائه ، فهو الصحابي الأول الذي لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أي صحابي آخر وكانت صحبته رضي الله عنه له من أول يوم لدعوته صلى الله عليه وسلم إلى آخر يوم فيها فضلاً عن صحبته قبل البعثة؛ فقدم بذلك النموذج المطابق في حكمه مع الفترة النبوية، فكانت المرحلة أو الفترة الانتقالية النموذج لكنها كانت قصيرة فقد مكث أبو بكر في الحكم سنتين لا ثالث لهما ، وبذلك فإن حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه شكلت بطول فترتها النموذج الفذ العظيم الذي قدّمه للقادة والرؤساء والأمراء والخلفاء من بعده في إدارة الدولة وشؤون المجتمع مع ما فيها من أحداث ومتغيرات.

وبوجود النبي ﷺ فقد كان هناك تداخل بين الدين والسياسة ؛ وكان للوحي وجوده في أمور الدين التي يبني عليها مواقف سياسية أو دفاعية أو اجتماعية أو غير ذلك. ولما جاء الخلفاء الراشدون من بعده ﷺ كان رسول الله قد استكمل لأُمَّته أمور حياتهم الدينية، وقدّم لهم خطة حياة متكاملة، فجاء الخلفاء

(84) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها- ، أ.م.د. مهدي صالح العبيدي ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 2012 ، إصدار 44 ، صفحات 293-308 ، 300



وقد انقطع الوحي إلى الأبد بوفاة ﷺ فظهر الاجتهاد في معالجة مستجدات الحياة وأمور الدولة والقيادة والسياسة.

هنا يطرح سؤالٌ مهمٌ حول قضية الاستخلاف والاناة عن رسول الله (85) هو: هل خلقت هذه الدولة أو كان من نتائجها طبقة من رجال الدين كما هو الحال في أوروبا؛ تؤدي مهمة الرسول في ادعاء صلتها بالسماء وما إلى ذلك ليكونوا هم المرجع الوحيد للناس في أمور الحياة والدين؟. للإجابة عن هذا السؤال نقول إن دولة الرسول هذه لم تقدم طبقة من رجال الدين يمثلون ظل الله في الأرض - كما يقال، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم للمجتمع مجاميع من الرجال والنساء ذوي خبرة حياتية قادرة على تسيير الحياة من بعده، لقد صنع صلى الله عليه وسلم جيلاً فريداً لا يعرف التواكل ولم يمارس الانهزام؛ فقد بنى رسول الله في نفوس أصحابه دولة سليمة القواعد والأسس تقوم على التوازن بين الروحي والحسي، قدّم جيلاً فريداً يرغب بالعيش في سبيل الله كما يرغب بالموت في سبيله لينال في كلا الحالتين رضاه سبحانه. لقد تساوت لديه مفردتا الحياة والموت مادامت في سبيل خالقهم. لأنهم فهموا أن إعمار الأرض هو بند من بنود طاعة الله كما أن التعبد له سبحانه موصل إليه. وبالتالي فإنه لم يكن ثمة فصل في أنفسهم بين البناء الروحي والبناء السياسي. لقد أسس محمد صلى الله عليه وسلم هذه الفكرة منطلقاً من نفسه؛ فأصبحت شخصية الرسول الكريم مصدراً للتصرف المعياري لمعاصريه وأسلافه؛ وشكّل ارتباط المسلمين بسنته جزءاً لا يتجزأ من البنية الاجتماعية الأساسية (86). ومما لا شك فيه فإن ظاهرة الاستخلاف التي أوجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل جوانب الحياة شكلت بالون اختبار - كما يقال - في كشف مواضع الخلل لدى المستخلفين، فيعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوجيه والتعديل والتصويب؛ فقد كشفت قضية الاستخلاف عن أخطاء المستخلفين وشطحاتهم في أمور الحياة السياسية خاصة، وأصبحت توجيهاته ﷺ في ذلك عملاً مهماً في إثراء التجربة السياسية والقيادية فيما بعد. وإذا كان الأمر

(85) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها - ، ص 300

(86) ينظر: تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام ، د.وائل حلاق ، ترجمة أ.د.أحمد موصلي ، مراجعة د.فهد بن عبد الرحمن الحموي ، دار المعرفة ، بيروت ، 2007م : ص 30-31.



كذلك مع الصحابة فما بالنا بأناس يأتون بعده بقرون عديدة يُنصبون أنفسهم كخلفاء الله وأنهم أوصياء الله على الناس؟!.

لقد قدّمت قضية الاستخلاف موسوعة جديدة تختلف في الأسلوب عمّا قدّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأن ما جاء به رسول الله ﷺ كان وحياً يقدم حكماً محدداً، أما قضية الاستخلاف فقد اعتمدت أسلوب الاجتهاد من قبل الصحابة، كما اتصفت بتعدد الآراء في القضية الواحدة. لكنها جميعاً مستمدة من هديه ﷺ. حتى يأتي التأكيد والاستحسان من رسول الله ﷺ أو التصويب لأخطائها؛ فحققت بذلك مبادئ الأمثلية في بناء قاعدة في الحكم والسياسة الشرعية، وسوف يكون ذلك مرجعاً مهماً للخلفاء الراشدين فيما بعد، ومن جاء بعدهم.

### البناء الداخلي للدولة:

يقول المستشرق الفرنسي كلود كاهن<sup>(87)</sup>: لقد استطاع رجل واحد وللمرة الأولى في تاريخ الجزيرة العربية أن يقيم دولته ويفرض كلمته عليها<sup>(88)</sup>. كان رسول الله ﷺ صاحب رسالة وباني دولة في الوقت نفسه؛ لقد كان هدف دولة المدينة الأساس هو بناء الإنسان والمجتمع على المثل والفضيلة الأخلاقية<sup>(89)</sup>. لكن هذه الدولة بطبيعة الحال كانت في وضعها الأولى، فالدولة المدنية ومن خلال وجود النبي ﷺ فيها وإقامته العلاقات وروابط مجتمعية مبنية على أسس عقديّة؛ هذه بطبيعة حالها خلقت بنية داخلية رصينة

---

(87) كلود كاهن: بالفرنسية Claude Cahen: (26 فبراير 1909 - 18 نوفمبر 1991 م)، هو مستشرق ماركسي فرنسي الجنسية من عائلة يهودية متخصص في التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى وبخاصة في البحث عن المصادر الإسلامية في فترة الحروب الصليبية [المصدر: موسوعة ويكيبيديا].

(88) ينظر: الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطة العثمانية، كلود كاهن، ترجمة حسين جواد قبيسي، مراجعة د.علي نجيب إبراهيم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، 2010 م، ص 33.

(89) ينظر: تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوي والسياسي، عبد الاله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2005، ص 41.



قائمة على التسامح والوفاق وحسن الظن. وعمل رسول الله ﷺ على بناء الجسد الداخلي لهذه الأمة فكان (كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

لقد أيقن رسول الله ﷺ أن الاستقرار الداخلي للدولة هو سبب رئيس في قوتها الخارجية وهذا ما دعا إلى توحيد المجتمع كما أسلفنا على ثلاثة مستويات رئيسة ظاهرة، فالصراعات والتوترات التي كانت سائدة في المنطقة بين القبائل كانت حائلاً رئيساً لإقامة الدولة وإنشاء هيكلها والترويج لتجارها، بينما فرضت السلطة الجديدة للدولة نفسها على المجتمع بعد أن أخضعت نفسها وأفرادها إلى سلطة القانون، ولم يعد ثمة تفضيل لأحد على أحد أمام القانون، حتى إن فاطمة بنت محمد ﷺ خاضعة لكل تفصيلات القانون بعقوباته حالها في ذلك كحال بنات المسلمين جميعاً.

نعم لقد فرضت هذه السلطة نفسها على المجتمع لأنها تمثل إرادة هي فوق إرادة البشر فالدين أصبح المنظم البنوي الذي يوجه الشكل السياسي والاجتماعي والثقافي للمجتمع، أي إن الدين أخذ بالتشكل في كل بني المجتمع، فأصبحت أخلاقيات الدين جزءاً لا يتجزأ من شخصية وأنشطة وأبنية المجتمع في دولة المدينة، وبعد أن تشعبت مبادئ هذا الدين في كل مفردات الحياة أصبحت السلطة وحدة متماسكة غير قابلة على القسمة لأن هدفها التأسيسي هو المحافظة على السلم والعدل المجتمعي<sup>(90)</sup>.

### وظائف الدولة في المدينة:

لقد نظمت وثيقة المدينة شؤون الدولة وممارسات السلطة وحقوق الحاكم واختصاصاته وحقوق الأفراد وحررياتهم، فقد كانت بحق مرتسماً لإقامة الكيان القانوني للهيئات الحاكمة في الدولة وكيفية ممارستها للسلطة والطرق التي تلزمها بعدم الخروج عن الإطار القانوني المحدد لها، والعقوبات الرادعة إزاء الخارجين

(90) ينظر: الصحيفة النبوية - مبادرة رائدة للدستور المدون، د. منير حميد البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 25، شباط 1979م، ص 523.



عن الإطار القانوني المحدد في هذه الوثيقة؛ والذي إن حصل معناه تفويض وهدم أسس الدولة<sup>(91)</sup>.

وليس من الصعوبة بمكان إدراك ما انطوت عليه من الوظائف السياسية وتجربة البناء السياسي من عقلانية في التخطيط، وفي توزيع المهام المختلفة على من هم أهل للقيام بها ، وفي إنجاز هؤلاء لما أنيط بهم من مهام بنجاح<sup>(92)</sup>.

والمتأمل في بنود المعاهدة إجمالاً يجدها تقوم على جملة من المبادئ الحضارية اللازمة والضرورية لبناء دولة ناجحة والتي انعكست فيما بعد كمهام وواجبات للدولة تقوم على إنجازها وحفظها بحسب ما أشارت إليه الصحيفة تماماً ، ومن ذلك:

#### أولاً: حفظ حق المواطنة لغير المسلمين من أهل المدينة:

فقد كان حفظ حق المواطنة من أهم ما نظّمته الوثيقة من العلاقة بالأقليات الدينية كيهود المدينة والاعتراف لهم بحق المواطنة بشرط خضوعهم للنظام العام للدولة الناشئة، وأن لهم النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم<sup>(93)</sup>. وكانت هذه المسألة هي القضية الفكرية الرئيسة في تنوية المجتمع وجعله كتلة واحدة. ولعل حفظ حق المواطنة يُعد من أهم أعمال الدولة الفتية في ذلك للناس جميعاً من أهل المدينة بغض النظر عن انتماءاتهم العشائرية أو الدينية.

ولعل اللافت للنظر منذ استعراض هذه البنود السابقة أن عناية الإسلام بحقوق غير المسلمين كان مسألة مبدأ لا يعتمد إليها المسلمون مضطرين أو مهزومين؛ بل هي ركن أصيل في الإسلام وفكره وفقهه، جاء به الدين الحنيف من اليوم الأول لقيام دولة الإسلام الوليدة، وأن تلك الكفالة التامة لحقوق الأقليات

(91) ينظر: الوسيط في أحكام القرآن ، د.عبد الحميد الجياش، دار النهضة العربية ، ط1، بيروت، 1430هـ - 2009 ، ص 71-72.

(92) ينظر: وثيقة المدينة -الدولة طبيعتها ووظائفها- ، 303

(93) ينظر: وثيقة المدينة -الدولة طبيعتها ووظائفها- ، 300



غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي أمر واقع من قبل أن يخطر على بال الآخرين تفكيراً في مثل هذه المبادئ بقرون طويلة.

### ثانياً: حفظ حق حرية العقيدة:

جعل رسول الله ﷺ البند الأول من هذه الوثيقة ضامناً لحق حرية العقيدة مشيراً إلى هذا الأمر بوضوح ؛ إذ جاء فيه أن: «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم. مواليهم وأنفسهم». وهذه هي القاعدة الأولى؛ التي تضمن للأقليات حقهم في حرية اعتناق الدين الذي يعتقدون به، وهي قاعدة عامة في الإسلام قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: من الآية 256] ؛ فللمسلمين دينهم ، ولليهود دينهم .. وفي هذا إشارة واضحة إلى أن اليهود بموجب هذه الوثيقة يتمتعون بحرية ثقافية وحقوقية كاملة، وأن موقفهم من الناحية الدينية والقانونية التي تُنظّم حياتهم الخاصة ثابت لم يتغيّر ولم يتأثر بحريتهم في الاعتقاد، ولهم كامل الحرية في التعبير عن آرائهم في ظلّ القانون والثقافة التي تحكم مجتمع المدينة في ذلك الوقت<sup>(94)</sup>. فكان ذلك واحداً من واجبات الدولة وقانوناً من قوانينها ، وأن يعترف الآخرون من غير المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم بالسلطة العليا التنفيذية والقضائية ، وأن يلتزموا بالنزول على حكمه<sup>(95)</sup> .

### ثالثاً: صيانة الذمة المالية واستقلالها:

جاء في البند السابع من الصحيفة: (وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم) : أي أن ذمة اليهود المالية مستقلة ومحفوظة تماماً.. بعيداً عن ذمة المسلمين المالية، فليس معنى أن المسلمين عاهدوهم، وأن الزعامة والرئاسة في الدولة للمسلمين أن يأخذوا حقاً لهم، أو أن نصادر ممتلكاتهم أو نُؤمّمها؛ بل إن لهم حرّية التملك ما داموا على عهدهم مع المسلمين في داخل الدولة التي وضع رسول الله صلى الله عليه

(94) ينظر: ما هي وثيقة المدينة أو معاهدة المدينة التي كانت بين الرسول واليهود ؟ ، د. راغب السرجاني ، موقع ألكتروني.

(95) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها- ، ص 303



وسلم حدوداً معينة. وهذا أيضاً من واجبات الدولة تجاه اليهود. والملاحظ أن المعاهدة تناولت كل الأمور المهمة في حياة الانسان والمجتمع بصراحة ودقة وعناية مما يجعلها (وثيقة) شعبية موثوق بها؛ كما أنها أصبحت بعد ذلك آصرة قوية بين الشعب والرئاسة.

#### رابعاً: التعاون في حماية الوطن حالة الحرب:

يكون الاستقلال المالي الذي كفله البند السابق في حال السلم؛ أمّا في وقت الحرب فإن الأمر يتغيّر، فإذا حدث هجوم على المدينة فإن الجميع بمقتضى حقّ المواطنة يُدافع عن المدينة؛ فعلى أفراد الشعب جميعاً التعاون في الدفاع عن هذا البلد لو تعرّض لعدوان خارجي، وذلك كما يُشير البند الثالث: «وإن بينهم النصر على مَنْ حارب أهل هذه الصحيفة»، ولا يكون هذا التناصر عسكرياً فقط، وإنما يُنفق اليهود مع المسلمين من أجل الدفاع عن البلد؛ فقد أكّد البند السابع هذا المعنى: «وأن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين»، ولا يصحّ أن يُجبر أحد من أهل هذه الصحيفة أحداً من قريش، أو أحداً نصرها؛ وذلك حفظاً لأمن المدينة من العدوّ الوحيد الذي يُعلن العداوة لها؛ حيث كانت باقي القبائل على الحياد، وإلى هذا يُشير البند العاشر من الوثيقة: «وإنه لا تُجار قريش ولا مَنْ نصرها»، ويُؤكّد البند الحادي عشر - أيضاً - على معاني الوطنية، والمسئولية التي تقع على كاهل كل طرف من الأطراف التي تسكن المدينة؛ وذلك حتى يشعر الجميع أن هذا وطنه، وأنه يجب عليه حمايته: «وإن بينهم (أهل هذه الوثيقة) النصر على من دهم يثرب، على كل أناس حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم».

ولعل من الواجبات الرئيسة للدولة التعبئة والاستعداد للدفاع عنها بكل وسيلة ممكنة، وقد كان شرط رسول الله على الأوس والخزرج المناصرة لدينه وقضيته قبل أن يأتي المدينة. وهذه الوظيفة لها أهمية خاصة لا سيما في الإعداد لها والقيام بها ومراتبها وضرورتها وشروطها، ومعلوم أن إدارة المعارك تكون بحركة الدولة كلها بأبعادها الفكرية والسياسية والاقتصادية؛ إذ الجيش أداة ووسيلة وهو حامل فكر الأمة وتوجهاتها وقوتها الاقتصادية وثقلها الاجتماعي<sup>(96)</sup>. ورتبت الوثيقة أمر القتال فبيّنت أن القتال ليس من

(96) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها - ، 303



اختصاص أحد دون آخر ؛ إذ بين البند (الثامن عشر) من الصحيفة أن الجميع يتناوبون للخروج في السرايا والغزوات (97).

إن هذه البنود تُؤَيِّدُ وتُوضِّحُ تمامًا أنه لا يُوجد طرف يتميِّز على الآخر، ولا يُوجد طرف يشعر أنه غريب في هذا المجتمع؛ بل إن الجميع -دون استثناء- يشتركون في حماية الوطن والدفاع عنه.

### خامساً: تحقيق العدل التام:

العدل هو أحد الأسس العظيمة في هذه الوثيقة؛ وذلك لأنه أحد مقومات الاستقرار في المجتمعات والشعوب، وبدونه يُصبح الضعيف مغلوباً على أمره، فاقداً لحقوقه، بينما يرتع القوي في حقوق الآخرين دون وجه حقٍّ، وقد كانت المجتمعات الجاهلية تقوم على نُصرة القريب؛ سواء كان ظالماً أو مظلوماً؛ وذلك بدافع العصبية والمبالية، فلما جاء الإسلام هدَّب هذه القاعدة بإقرار نُصرة المظلوم، وجعل نُصرة الظالم بالأخذ على يديه ومنعه من الظلم؛ ومن ثمَّ فقد كان أحد البنود في هذه المعاهدة هو: «وإن النصر للمظلوم»، وأطلق هنا لفظ المظلوم ليظهر لنا أحد معالم العظمة الإسلامية في إقرار حقوق الإنسان في هذه الوثيقة؛ فسواء كان المظلوم مسلماً أو يهودياً فإن له النصرة، وعلى ظالمه العقوبة، فلو أن مسلماً ظلم يهودياً فإنه يُعاقب على هذا الظلم، ويُردُّ الحقُّ إلى اليهودي، وكذلك لو ظلم يهوديُّ مسلماً فإنه يُعاقب ويُردُّ الحقُّ إلى المسلم.

هذا هو التشريع الإسلامي العظيم الذي يحفظ لكل إنسان حقوقه، دون النظر إلى ما يعتنقه من دين، أو ما يحمله من أفكار، وهذا هو عدل الإسلام وإنسانيته.

وعلى كل طرفٍ أن يتحمَّلَ مسؤولية ما يقوم به من أعمال: «وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه»، فلو أن إنساناً ارتكب إثماً أو خطأ ما متعمداً؛ فإنه وحده يتحمَّلَ مسؤولية عمله كاملة، وليس على حلفائه الذين



لم يشاركوه في هذا العمل أدنى مسئولية، وإلا كان هذا مساعدة على انتشار الإثم والبغي، وهذا بخلاف ما إذا كان ما قام به عن طريق الخطأ كالقتل غير المتعمد؛ ففي هذه الحالة ومثلها على حلفائه أن يُساعدوه، ويُقدِّموا له العون؛ كالمشاركة في أداء الدية معه مثلاً، وهذا -أيضاً- من العدل، ومن مقتضيات التحالف.

ولعل من البنود التي تُؤكِّد معنى العدل البند الثاني عشر: «وإنه لا يُحَوَّل هذا الكتاب دون ظالم أو آثم»، فهذا الدستور ليس ملاذاً للظالمين والآثمين، يَحْتَمون به من المظلومين وأصحاب الحقوق؛ بل على العكس من ذلك فإن هذه الوثيقة تردُّ (بموجب بنودها) الحقوق إلى أصحابها.

#### سادساً: التعاون والتناصح وحفظ الوطن:

«وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم»؛ أي أنه بموجب هذا العهد يكون على الأطراف المتعاهدة التناصح فيما بينها، ويشمل هذا الأمر إساءة النصح للأطراف الأخرى بصدق وإخلاص، وقبول النصيحة منهم، وأن يحمل كلُّ طرفٍ النصائح التي يُسديها إليه الآخرون محملاً حسناً، ويُؤكِّد هذا البند -أيضاً- على أن بين الأطراف المتعاهدة البرّ دون الإثم، أي التعامل بالإحسان، والتعاون على الخير فيما بينها، دون التعامل بالسوء. وإذا كان من مُقَوِّمات حفظ الوطن عدم اندلاع حروب داخلية؛ فإن الوثيقة احتوت -أيضاً- على أحد البنود الذي يُحَرِّم نشوب قتال داخل الوطن: «وإن يثرب حرام جوفُها لأهل هذه الصحيفة». كما تقوم الدولة بموجب الوثيقة بحفظ الأمن الداخلي بمنع الحروب والقتال داخل المدينة، لا بل حرّم الحرب أو القتال حفاظاً على السلم الأهلي<sup>(98)</sup>.

#### سابعاً: بناء مرجعية واحدة

يُؤكِّد البند التاسع من الوثيقة هذا المعنى: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يُخاف فسادَه فإن مرده إلى الله -عز وجل، وإلى محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم»، وهو

(98) ينظر: السيرة النبوية، د. مصطفى عبد العاطي غنيمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2005، 190.



بند مهمٌ يكفل توازن العلاقة، ووضوح معالمها بين الدولة الإسلامية ومواطنيها غير المسلمين؛ فمع ما قرّرتَه البنود السابقة من حريات وحقوق، إلا أن هذا البند يكشف جانباً آخر مهمّاً من العلاقة، وهو أن المرجعية القضائية القانونية والفصل في الخصومات إنما يكون كل ذلك إلى شريعة الإسلام، وقضاء الدولة الإسلامية المتمثل حينذاك في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما لم يكن الأمر من خصوصيات دينهم). فمرجعية الشعب جميعاً هي الحكومة ورئاستها، ولا يمكن أن تتعدد المرجعيات في الحكم وإدارة الدولة إلى أكثر من مرجعية واحدة؛ إذ إن تعدد مرجعيات الحكم مدعاة الفساد والفشل لا محالة. قال تعالى: (قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

**أهم مؤشرات بناء الدولة العادلة: المساواة وحقوق الانسان:**

**ثنائية المواطنة والمساواة:**

إذا كانت المواطنة قضية تشمل عموم المواطنين دون تفاوت بينهم، فإنها تستدعي المساواة في الحقوق المنبثقة من الإنتماء الوطني باعتبارها مصدراً لها تندمج فيها الحقوق الإنسانية، وتقع مورداً لتطبيق تلك الآيات التي أقرت عدم التفاوت بين شعب وآخر فضلاً عن فرد على آخر داخل الشعب الواحد والوطن الواحد.

ويظهر ذلك واضحاً في وثيقة المدينة التي عقدها النبي ﷺ مع مكونات المجتمع المختلفة في بداية العهد الجديد وإقامة الدولة وتنظيم الشؤون فيها، فقد كانت موطناً للأوس والخزرج واليهود والمهاجرين والأنصار وغيرهم، فبالرغم من اختلاف الهوية الدينية؛ فقد كانت الهوية الوطنية الجامع المشترك بين عموم فئات المجتمع، وقد نظرت هذه الوثيقة إلى الجميع بعين المساواة بما فيهم اليهود وغيرهم ممن لم يؤمن بدين الإسلام، وقد تضمنت هذه الوثيقة عقداً اجتماعياً أرسى قواعد الأخوة بين المهاجرين والأنصار، وحافظ على العيش المشترك بين المسلمين وغيرهم. وقد أعطتهم الوثيقة حق المساواة مع المسلمين في المصالح العامة، وكفلت لهم سائر حقوقهم في عبادتهم وحرّياتهم الشخصية وعاداتهم وتقاليدهم على قاعدة التعايش



مع الشريك في الوطن ؛ قال تعالى : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ) [الممتحنة: 8].

### المساواة في وثيقة المدينة:

ومن خلال هذه الوثيقة المؤسسة للدولة الإسلامية الناشئة يتبين أنّ هذه الدولة في المفهوم الإسلامي تقف على مسافة واحدة من جميع الأفراد الذين ينضون تحتها، تمنحهم نفس الحقوق، وتطالبهم بنفس الواجبات، ولا تميّز بينهم في ذلك بحسب العوارض الذاتية من لون أو دين أو عرق، وذلك ما ينطبق أيضا على المجموعات المتميزة بحسب القرابة أو المهنة أو السكن أو غير ذلك، فهي متساوية بمقتضى المواطنة في الحقوق والواجبات فيما يتعلّق بانتمائها إلى الدولة<sup>(99)</sup>.

لقد جاءت هذه الوثيقة توّصّل للمواطنة في علاقة الأفراد والفئات بالدولة، حيث جمعت المتفرّق بحسب الانتماء القبلي، والانتماء الجهوي، والانتماء الديني على صعيد واحد بالنسبة للدولة، فالأوس والخزرج، والأنصار والمهاجرون، والمسلمون واليهود كلّهم أعضاء في الدولة على صعيد واحد، يتساوون في المواطنة استيفاء للحقوق وأداء للواجبات، ولا يفضل في ذلك بعضهم بعضا. وتمثّل تلك المساواة في المواطنة في مظاهر عديدة مادّية ومعنوية.

فالمساواة في الانتساب إلى الأمة والانضواء تحت رايّتها لا يتفاوت في ذلك فريق يدّعي شرف الانتساب إليها ويخرج غيره من ذلك، وهو ما جاء في الوثيقة: (وأنّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين... وأنّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف). ومساواة في التحاكم إلى القانون الموحد، فقد جاء في وثيقة المدينة: (وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد)، فمرجعية التحاكم هي نفسها لكل الفرقاء ممثّلة في قانون الشريعة منزّلا من عند الله تعالى، ومفسّرا من قبل النبي الكريم.

(99) ينظر: المواطنة في الأفق السياسي للسيرة النبوية، عبد الجبار النجار، موقع على الانترنت



ومساواة في التمتع بالحقوق وعلى رأسها حق حرية التدين معتقدا وممارسة، لا يُكره أحد على ذلك، ولا يُمنع في شأنه الخاص بل في شأن أحكامه الأسرية والفئوية التي لا تتعارض مع الشأن العام للمجتمع أن يتدبر أمره بحسب خصوصية دينه، وهو ما نصّه في الوثيقة: (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم). ومساواة في أداء الواجبات مالية كانت أو دفاعية، فالكل مطالب بذلك على سبيل التكافؤ، وهو ما جاء في الوثيقة منصوص عليه في خصوص واجب الدفاع بالقول: (إنّ بينهم النصر على من داهم يثرب)، وفي خصوص واجب الإنفاق بالقول: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين). ومساواة في الالتزامات الخارجية إزاء الآخرين من خارج الدولة، فإذا ما أبرمت الدولة التزاما مع آخرين فالواجب على الجميع احترام ذلك الالتزام والوفاء به، وهو ما جاء في الوثيقة: (وأنت لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن)، وما جاء فيها أيضا: (لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه).

إنّ هذا التساوي الذي تقتضيه المواطنة يبقى هو المبدأ الأعلى الذي يحكم العلاقة بين الدولة وبين مواطنيها، غير أنّه يمكن التصرف فيه من حيث الشكل مع بقاء المقصد قائما، كأن يتنوع الواجب المطلوب من الأفراد والفئات إزاء الدولة من أجل حمايتها على سبيل المثال بين الانخراط المباشر في الأعمال العسكرية وبين الاستعاضة عن ذلك بدفع مقابل مالي سُمّي في مرحلة من مراحل التاريخ بالجزية التي تُضرب على المستعفي من العمل العسكري، فإذا ما انخرط فيه رُفعت تلك الضريبة عنه.

### حقوق الانسان في وثيقة المدينة:

في بنود وثيقة المدينة يمكن الوقوف على جملة من الاشارات في مجال حقوق الانسان وبشكل خاص تلك التي تأتي بتحصيل الحق من الدولة ؛ ومن ثم الحقوق المجتمعية والاسرية لحفظ كرامة الانسان ومنزلته العالية التي أرادها الله له (ولقد كرمنا بني آدم ... وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)؛ وفي الآية إشارة واضحة على ضمان حقوق الانسان وحفظها في الإسلام.

فما أبرز الحقوق الانسانية التي نصت عليها الوثيقة والتي كانت محط اهتمام الرسول ﷺ في أول



عهده بالدولة وتأسيسها؟ . فليس مبالغاً فيه إذ قلنا أنّ أحد أهداف الوثيقة كانت الحفاظ على الانسان وحقوقه، بغية أن تجد البشرية سبيلاً أفضل لحياتها. وقد عدتها كتب السيرة النبوية أول وثيقة حقوقية دستورية عرفها التاريخ ضمنّت الحقوق والحريات العامة ، وهي تندرج في سياق مشروع كبير هو تأسيس دولة القانون على أسس دستورية لضبط العلاقات الداخلية والخارجية في صيغة جديدة تمهد لمرحلة لاحقة(100).

ولقد دلّ أسلوب الوثيقة على أصالتها "فنصوصها مكونة من كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر النبي ﷺ ثم قلّ استعمالها فيما بعد حتى أصبحت معلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح أو تقدح فرداً أو جماعة أو تخص أحداً بالاطراء أو الذم لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصيلة أو غير مزورة"<sup>(101)</sup>. ويلاحظ أيضاً أن تشابهاً كبيراً بين أسلوبها وأسلوب كتب النبي صلى الله عليه وسلم يضيف توثيقاً آخر<sup>(102)</sup>. ولعل من أهم قواعد حقوق الانسان التي جلبتها الوثيقة هو قضية (المساواة) التي أكدت عليها حتى في أسلوبها؛ إذ هي لم تذكر أحداً فالناس كلهم سواسية بحسب هذه الوثيقة فهي كما ذكرنا لم تمدح أو تقدح فرداً أو جماعة .. فكان الجميع أمام القانون واحداً. أما عن أنواع العلاقات التي تناولتها الصحيفة فكانت منها اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية تتعلق بمجتمع المدينة بكل فئاتهم؛ إذ لم تدع فئة منهم إلا شملتهم الصحيفة بجانب أو بجملة من جوانب الاهتمام.

أما اليهود فقد اعترفت الوثيقة بحقوقهم كاملة من ذلك؛ حرية ممارسة عقيدتهم دون اعتراض أو مضايقة، (لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم)، ثم إنّ لهم الحماية والمساواة في المعاملة ف (إن من تبعنا من يهود فإن لهم النصره والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم) وهذه الحقوق بحد

(100) ينظر: حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة ، ص 174.

(101) ينظر: الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ، صالح أحمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1969م ، ص 4-5.

(102) ينظر: الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ، صالح أحمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1988م ، ص 4-5.



ذاتها تعد القمة والغاية العليا في مقياس حقوق الانسان<sup>(103)</sup>. كما أكدت الوثيقة على حقوق الأفراد فقد نصّت على بقاء التزامات هذه القبائل على ما كانت عليه سابقاً من حيث تكافل أفراد كل قبيلة في دفع فدية أسراها أو دية من يرتكبون جناية من أفرادها<sup>(104)</sup>. فأفراد الأمة كلهم متساوون في حق منح الجوار لأن ذمة الله واحدة يجبر عليهم أديانهم<sup>(105)</sup>، وأن لا يؤاخذ الفرد بجريرة غيره، كما ضمنت حياة الفرد وأمواله من أن يقع عليها اعتداء وتجعل واجب الدفاع عنه وحمايته وحماية حقوقه من مسؤوليات الأمة بفئاتها كلها. كما نصت على وجوب تعاون الجميع من أجل إيقاع العقاب على الجاني<sup>(106)</sup>. وبذلك تكون قد تجاوزت مبدأ العصبية القبلية الذي كان قائماً على مناصرة القبيلة لأبنائها ظالمين كانوا أو مظلومين<sup>(107)</sup>.

وبذلك أوجدت الوثيقة حقاً للإنسان أن يعيش في إطار دولته سواء أكان مؤمناً أو مشركاً، يهودياً أو غير ذلك طالما ارتضى أن يعيش في إطار النظام الإسلامي الذي يضمن له حقوقه كلها، فهذا الاطار السياسي والاجتماعي تعيش داخل محيطه الفئات التي ارتضت أن يمثل الانسان نفسه فكرة الاطار الذي تمارس فيه حياته السياسية<sup>(108)</sup>. وقد أرسى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعد المجتمع الجديد ووضع حجر الأساس لدولة تجتمع فيها مقومات الدولة الناجحة كلها.

### دوائر وحلقات مجتمع المدينة:

لقد وصفت الصحيفة مجتمع المدينة ضمن حلقات انتمائية، وجعلت لكل حلقة حقوقها وواجباتها تجاه الآخرين، فالمجتمع في المدينة كما ذكرت الصحيفة قد تشكل بالأساس من المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب؛ أي من المهاجرين والأنصار؛ وهذه هي الحلقة الأم التي تقع من الجسد

(103) ينظر: حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة، ص 183.

(104) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، د. هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص 205.

(105) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباري، القاهرة، ج 1، ص 501.

(106) ينظر: م.ن.، ص 502.

(107) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص 206.

(108) ينظر: م.ن.، ص 204.



موقع القلب النابض الذي يضح سبب الحياة إلى المجتمع كله.. ولولا هذه الحقيقة لما أقيمت هذه الدولة ولما أنشأت هذه الأمة فكان هذه الحلقة الفضل على من سواها من حلق ودوائر التكافل والاندماج في المجتمع الجديد. ثم من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ؛ أي كل من ارتضى أن يكون معهم من أهل المدينة، وبذلك شملت المشركين من أبناء قبيلتي الأوس والخزرج أمة من المؤمنين وذلك لأنهم ارتضوا أن يعيشوا في إطار الأمة على وفق مبادئ الوثيقة<sup>(109)</sup>.

### القضاء في دولة المدينة:

ومن خصائص دولة المدينة أنها نقلت السلطة من سلطة الأفراد والعشائر إلى سلطة الدولة، فما اختلف فيه من شيء فمرده إلى الله وإلى الرسول (البند 13)، واعتمدت سلطة الدولة على مبدأ إقامة العدل بين الناس، وهذا هو مبدأ أساسي تقوم به الدولة ، وأصبح القضاء من اختصاص سلطة مركزية بدلا من أن يكون مباشراً عن طريق الافراد أو العشائر ، وكثيراً ما يقع في ذلك جور كبير أو إسراف في العداوة والبغضاء، وبالتالي فإن دولة المدينة قضت على الفوضى الناشئة عن العصبية القبلية تماماً. وكان مطلب الرسول ﷺ إقامة دولة لا يظلم فيها أحد بإنشاء قضاء نزيه يمارسه هو أولاً ﷺ ، ويُعد من خلال تلك الممارسة طبقة كاملة من القضاة المؤهلين إلى ممارسة ذلك في المستقبل مع توسع دولة الإسلام؛ ولعل من أمثلة ذلك أنه ﷺ لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضى بكتاب الله، قال فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟ قال أجتهد رأيي ولا آلو.. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله"<sup>(110)</sup>. كما أن رسول الله ﷺ أعدّ طبقة قيادية كاملة من جيل الصحابة كمثل معاذ بن جبل ليمسكوا بزمام القضاء والدعوة مع توسع الدولة وامتداد إدارتها إلى

(109) ينظر: المصدر السابق ، ص204.

(110) الحديث ضعيف من حيث السند رغم شهرته عند أهل الحديث وعلى ألسنة الفقهاء والأصوليين، فقد رواه الإمام أحمد في المسند وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ مختلفة ومتقاربة، لكن ضعفه كثير منهم. قال عنه الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده عندي بمتصل. وقال البخاري: لا يُعرف الحارث إلا بهذا ولا يصح. وصححه بعضهم كابن عبد البر وابن القيم.



مدن أخرى خارج المدينة المنورة. إن تحقيق العدالة وضمان إقامة قضاء نزيه مستقل بمسك بأركان الدولة ويقوي عودها ويمنع من حدوث الفوضى والاضطراب<sup>(111)</sup> (البند 21).

وقد حددت الوثيقة كذلك أهم المسائل والتشريعات الجنائية لينال المعتدي جزاءه كالقتل العمد وإنزال العقوبة بالجاني (البند 21 و 22) كما حرّمت الوثيقة في بنودها (13 و 39 و 42) كل أنواع الجرائم في الأنفس والأموال.

### وثيقة المدينة كمصدر للقانون والقضاء:

كما أن الوثيقة تمثل حالة متطورة ترقى إلى أفضل وأدق القوانين الوضعية التي تتعامل بها المجتمعات والشعوب في الوقت الحاضر ، فقد أدت الوثيقة إلى إيجاد سلطة قضائية تعمل على حسم المنازعات بين الأفراد والجماعات ، وتمنع الناس من تسوية منازعاتهم بأنفسهم عن طريق الثأر والثأر المقابل ، كما أكدت الوثيقة على ضرورة إيقاع القصاص على الجاني من قبل الجماعة وفقاً لمبادئ الحق والعدل ، وأنّ هذه الوثيقة ملزمة للجماعة والفرد من خلال إقرار السلم وتنظيم العلاقات على أساس المساواة في الحقوق والواجبات<sup>(112)</sup>.

يعد الدين الإسلامي التجسيد الفكري الأصيل للأنظمة التي أقامها رسول الله في المدينة، ولعل أفضل تمثيل لتلك النظم الإسلامية بوضوح وجلاء كبيرين هي الوثيقة التي أعلنها رسول الله لتكون دستوراً شاملاً في المدينة، ثم إنّ أهم ما يلفت النظر فيها هو قضية حقوق الانسان؛ إذ عدّها بعض الباحثين مصدراً مهماً للحقوق<sup>(113)</sup>.

وتدل الوثيقة على العبقورية التي أتت بتلك البنود في صياغة موادها وتحديد علاقة الارتباط والاقتراب بعضها ببعض ، فقد كانت موادها مترابطة وشاملة وتصلح لعلاج أوضاع المدينة حينها ؛ فقد

(111) ينظر: وثيقة المدينة - الدولة طبيعتها ووظائفها- ، 304

(112) ينظر: حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة ، ص 184.

(113) ينظر: م.ن. ، ص 184.



اشتملت على القواعد والمبادئ الناتجة عن الرؤية العالمية التي تضمن المساواة التامة بين البشر ليتمتع الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأديانهم بالحقوق كاملة والحريات بأنواعها<sup>(114)</sup>.

ولعل من مؤشرات تلك العبقورية أيضاً التي صيغت بها مبادئ وثيقة المدينة باعتبارها حافظة للحقوق الانسانية، ضامنة لاستقرار الأمة أن تلك القوانين لا زالت حية قائمة معمول بها ؛ يقول الاستاذ محمد سليم: "ولا تزال المبادئ التي تضمنها دستور المدينة معمولاً بها ، وعلى الأغلب أنها ستظل كذلك في مختلف نظم الحكم المتعاقبة إلى يومنا هذا ... والتي وصل إليها الناس بعد قرون من تقريرها في أول وثيقة (قانونية-سياسية) دونها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(115)</sup>.

لقد أعلنت الوثيقة:

أولاً: أن الحريات مصانة، كحرية العقيدة وحق العبادة وحق الأمن... إلخ من الحريات الانسانية؛ فحرية الدين مكفولة للمسلمين دينهم ولليهود دينهم؛ قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة/256]. وقد أُنذرت الوثيقة بإنزال الوعيد وإهلاك من يخالف هذا المبدأ، أو يكسر هذه القاعدة<sup>(116)</sup>.

ثانياً: أن تحقق العدالة بين الناس ، واعتماد مبدأ المساواة : وأن الدولة واجب عليها أن تقيم الدولة بين الناس وتفسح المجال وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إلى حقه بأيسر السبل وأسرعها دون أن يكلفه ذلك جهداً أو مالاً<sup>(117)</sup>.

(114) ينظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ، كامل سلامة الدقس ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1993م ، ص420.

(115) أصح الكلام في سيرة خير الأنام السيرة النبوية ، د.علي محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الامارات العربية ، 2001م ، ج1، ص 557.

(116) ينظر: حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة ، ص 188.

(117) ينظر: النظام السياسي في الإسلام ، د. محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان ، ط3 ، الأردن ، 1409هـ ، ص58.



## المبحث الثاني

### النظرية النبوية في بناء الدولة

#### تأسيس الأمة في وثيقة المدينة:

لعل من أبرز معاني كلمة (أمة) هو الجماعة الواحدة التي تعتنق ديناً واحداً ، أو الجماعة من الناس الذين أرسل الله لهم رسولا آمنوا به أم لم يؤمنوا<sup>(118)</sup> ولكنها في وثيقة المدينة أعطت أوسع من هذا المعنى، فقد ورد في بداية وثيقة المدينة مفردة (أمة) ، (بسم الله الرحمن الرحيم ، هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ).. فالأمة في المدينة قد تشكلت من المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب أي من المهاجرين والأنصار، إنهم أمة واحدة من دون الناس يد واحدة على عدوهم ويتكافلون فيما بينهم حلف تعاون ووثيقة تضامن، فضلاً عن إمكانية أن يلتحق بهم من رضي بشرطهم فتبعهم ولحق بهم وجاهد معهم فيكونون جميعاً أمة واحدة ، أي كل من ارتضى أن يكون معهم من أهل المدينة ، وبذلك شملت الصحيفة المشركين من قبيلتي الأوس والخزرج، كما عدت الصحيفة في فقرة أخرى يهود بني عوف وغيرهم من اليهود المتحالفين مع بطون الأوس والخزرج أمة مع المؤمنين، وذلك لأنهم ارتضوا أن يعيشوا في إطار الأمة على وفق المبادئ التي جاءت بها الوثيقة<sup>(119)</sup>.

إن مفردة (الأمة) التي وردت في الوثيقة حقق من خلالها الرسول الكريم (تحويلات فكرية) مهمة ارتقت بفكر المتلقين إلى معاني الوحدة والتآزر والانسجام وغير ذلك ، ولعلنا نرصد هدفين مهمين باتجاه بناء الدولة هما:

(118) ينظر: الأمة والجماعة والسلطة ، رضوان السيد ، دار إقرأ ، بيروت ، 1984م ، ص 54.

(119) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، د. هاشم يحيى الملاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007م ، ص 181.



الأول: تهيئة سكان المدينة أو المجتمع المدني وإعلامهم بالتغيرات الجديدة التي سيعيشها مجتمع المدينة<sup>(120)</sup>؛ بعد إعلان الوثيقة باعتبارها دستوراً متفقاً عليه ينظم أمور الحياة كلها.

الثاني: التأكيد على وحدة المجتمع<sup>(121)</sup> ، وهذه هي الفكرة الأساس التي يتحقق معها التحويل الفكري ومن ثم القناعة والعمل بهذا الاتجاه ؛ لأنه لا يمكن لأي مجتمع مفكك أن يقوم ببناء دولة ، وإنما وحدة المجتمع أساس قوة الدولة، ثم إن طبيعة النسيج الاجتماعي وتجانسه وطريقة حياكة ذلك النسيج مارس عليها رسول الله ﷺ فكرته في تحويل البناء وأرسى من خلالها دعائم المجتمع الموحد المتماسك. والأمة لم تقتصر على المسلمين وإنما شملت القبائل التي سكنت المدينة منطلقاً من مبدأ حفظ الإسلام لحقوق الآخرين في العيش بسلام والحرية في اعتناق الدين إذا ما التزمت هذه المجموعات والعشائر والقبائل بالمواثيق والعهود التي وردت في ثنايا وثيقة المدينة.

إن الأمة الجديدة هي التي رضيت أن تعيش تحت ظل نظام الدولة الجديد بقيادة رسول الله محمد ﷺ سواء كان أفرادها قد آمنوا بالرسالة أم لم يؤمنوا بها بعد ؛ فهذا اختيار الأفراد أو الجماعات؛ فليس لأحد أن يفرض على أحد أسلوبه في العيش والاعتقاد، فكان الذي لا يؤمن برسالة محمد ﷺ -وهو رئيس الدولة- يمكن له أن يصرح بذلك وأن يطلب مناقشته أو مناظرته شخصياً أو مناظرة صحابته ومن يؤمنون برسالته دون أن يعترض عليه أحد أو يسيء إليه أحد ، وهكذا كانت الأمة بمثابة الإطار السياسي الذي تعيش فيه جميع الفئات ؛ وقد ارتضت هذه الفئات جميعاً أن يمثل الإسلام لها (فكرويةً الاطار) الذي تعيش فيه حياتها السياسية<sup>(122)</sup>. وهكذا نجد أنّ النظام السياسي كان شاملاً ومستوعباً للفئات المجتمعة كلها مهما تنوعت وتعددت عقائدها وانتماءاتها.

إن هذه الحقيقة قد جعلت المسلمين من المهاجرين والأنصار يشكلون نواة الأمة التي تعمل على

(120) ينظر: وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية ، د. حاتم كريم جواد يعقوبي ، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، مجلد 1 ، إصدار 11 ، 2012م ، الصفحات: 137-163 ، ص 146.

(121) ينظر: وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية ، ص 146.

(122) ينظر: الأمة والجماعة والسلطة ، رضوان السيد ، دار إقرأ ، بيروت ، 1984م ، ص 54.



تحقيق أهدافها والجهاد في سبيلها ، في الوقت نفسه كان على الفئات الأخرى من مشركين ويهود أن يكونوا عوناً وسنداً للمسلمين وفقاً لما ورد في الصحيفة<sup>(123)</sup>.

### دولة الرسول ﷺ في المدينة فتحت المجال لتلاقي الشعوب والقبائل:

من القضايا التي نظمتها الصحيفة موقف الدولة من اختلاف المناصب والأصول، من ذلك النص التالي: "هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش، ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إثم أمة واحدة من دون الناس.. وإن المؤمنين المتقين أيديهم على من بغى عليهم أو ابتغى دسيسة ظلم، أو إثم، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض. وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم"<sup>(124)</sup>. ويلاحظ من هذا النص أن الدولة لم تعتبر اختلاف الأصول الجغرافية بين مهاجر وأنصاري عامل تفرقة أو تمييز، فالمؤمنون من قريش، والمؤمنون من أهل يثرب أمة واحدة بشرط أن يكون لتلك الأمة أرض يحكمها حاكم منهم يرضونه، وهذه الرابطة الجديدة: "الأمة" مفتوحة لكل من تبعهم، ولحق بهم، واستعد لأداء الالتزامات الواجبة عليه. كما نلاحظ أن هذا النص ركز على أهمية ما يسمى اليوم (بدولة القانون) التي يلتزم جميع أفرادها باحترام القانون، وعدم تناول أحد أفراد الأمة ركوناً إلى قوة مادية أو معنوية فالمؤمنون المتقون أيديهم على كل من بغى عليهم أو ابتغى دسيسة ظلم -والدسيسة: القوة-<sup>(125)</sup>، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم. وهذا الالتزام بالخضوع لدولة القانون من أهم الدعائم التي تساعد على اندماج أفراد المجتمع الجديد، وتجانس أفكارهم، بحيث يصبحون أمة واحدة، وتصبح التكتلات الاجتماعية الأخرى من قبيلة وعشيرة محتواة، ومندرجة في مفهوم الأمة. في حين أن عدم رسوخ مفهوم (دولة القانون) ووضوحها سيضيف مفهوم (المواطنة) ويخفف من نشاطها في صدور الناس ويدفع كل فرد إلى الالتجاء لعشيرته وقبيلته، مما يعيق اندماج الأفراد، وتجانس أفكارهم.

(123) ينظر: تاريخ الدولة العربية ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ، 1968م ، ص 12.

(124) السيرة النبوية، ابن هشام، بيروت: دار الجيل، ج2، ص 106، 1975.

(125) القاموس المحيط، مادة دسعة، الفيروز آبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 924، ص 1987.



هذا ومما نصت عليه الوثيقة الإشارة إلى العشائر والقبائل الموجودة داخل الدولة، والتي تشكل أهم الروابط الاجتماعية متعددة الوحدات في المدينة، حيث تتكون نواة الأمة من تسع وحدات: واحدة منها اجتماعية، وهم: المهاجرون، والثماني الباقية وحدات قبلية من أهل المدينة ما بين أوس، وخزرج، وبنو عوف، وساعدة، والنجار، وغيرهم، وكل واحدة من هذه الوحدات تدخل الجماعة بنظامها الاجتماعي الخاص بها المعبر عنه في الوثيقة بـ (ربعتهم)<sup>(126)</sup>، وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم - النظام العشائري<sup>(127)</sup> أساساً للاستيطان والتعاون؛ لتغلغل هذا النظام في النفوس، ولما فيه من مصلحة اجتماعية تُسوّغُ اعتباره عرفاً معتداً به شرعاً، ما دامت المصلحة التي يستند إليها العرف لا تتنافى مع المصالح المعتبرة في الشريعة. فقد نصت الوثيقة على أن كلاً من العشائر على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم، ويفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين<sup>(128)</sup>. غير أن ما تجدر الإشارة إليه: أن الرسول ﷺ اعتبر القبيلة والعشيرة في المدينة تجمعاً اجتماعياً أكثر منه تكتلاً إدارياً أو سياسياً، ومن هنا فلا ميزة لأفراد عشيرة على أخرى، وكان الرسول ﷺ يتعامل مع ذوي المكانة باعتبارهم أفراداً في الأمة وليس باعتبارهم رؤساء لكتل سياسية.

وهذه المفاهيم الجديدة التي وضعها الرسول ﷺ أدت إلى إعادة صياغة التكتل القبلي ليتهيأ للاندماج في مفهوم الأمة، فقد وضع الإسلام معايير للتفاضل بين الناس حسب تقواهم وحُلُقهم الفاضل، فضلاً عن أن من يُسلم من القبائل يرتبط مع إخوانه في الدين برابطة عامة، فيها جر إليهم ويعيش على أرضهم، ويشترك معهم في أفراحهم، وأحزانهم، ومناسباتهم وأعيادهم، ويندمج في الرابطة الجديدة: (الأمة).

#### تعامل الدولة الإسلامية مع القبائل يؤسس لمفهوم المجتمع المدني وإقامة مؤسسة (الأمة):

إن من أهم وسائل مقاومة تسلط الحكم الفردي، إقامة المجتمع القوي، أو "مؤسسة الأمة" مما يمهد لتحقيق التوازن بين السلطة والمجتمع. وشاع مفهوم المجتمع المدني بعد انهيار المعسكر الاشتراكي في العصر الحديث، وقد اختلف الباحثون حول مدلول هذا المفهوم فيرى الباحثون الغربيون: أن قيام "المجتمع المدني"

(126) عالم الإسلام، حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ص 154.

(127) الدولة في عهد الرسول، ج 1، ص 110.

(128) م.ن.، ص 112.



يستلزم وجود مؤسسات اقتصادية رأسمالية، وخصخصة القطاع العام، بينما يرى الباحثون العرب أن القضية ليست في مجتمع مدني أو غير مدني، وإنما هي في مجتمع قوي متماسك، يستطيع تحقيق التوازن مع السلطة الحاكمة، ويفضل بعض الدارسين استخدام مصطلح "مؤسسة الأمة" باعتباره أقرب لطبيعة المجتمع الإسلامي، وهذا ما يحتاجه المجتمع العربي لتجاوز حالة الاستبداد في الحكم<sup>(129)</sup>. ومن أهم دعائم المجتمع القوي أو "مؤسسة الأمة" تلاقي الشعوب والقبائل وانصهارها في إطار المفهوم الواسع للأمة.

وتأسيساً على ما سبق، فإن الدارس لدولة الرسول ﷺ يلحظ أنها قد فتحت الباب لإيجاد مجتمع قوي متماسك، حافظت فيه على كيان العشيرة والقبيلة بعد إعادة تهذيبه لتكوّن وحدة الأمة، والتأكيد على مصلحة المجتمع الأساسية التي لها المكانة الأولى، وهي تسود على التكتلات الفرعية دون أن تلغيها. وسنأتي إلى التنظيمات التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناء تلك الدولة القوية.

### نُظْمُ الدَّوْلَةِ:

بدأ رسول الله ﷺ يعمل على تثبيت أركان الدولة الإسلامية على أسس راسخة من خلال إنشاء بعض المؤسسات والتنظيمات التي تساعد على ذلك ليتوزع التأثير على أفراد المجتمع جميعاً، وليكون الجهد المبذول تجاه المجتمع منظماً لا إضاعة فيه؛ ومن المؤكد فإن إقامة المؤسسات شرط لا تنازل عنه في إقامة الدولة وتنظيمها. فكان بناء المسجد الخطوة الأولى ثم أعقبته المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثم إصدار وثيقة المدينة إلى جانب إنشاء الجيش وتنظيم الجهاد<sup>(130)</sup>. وفيما يأتي تفصيل ذلك:

**أولاً: المباشرة في بناء المسجد:** بوصفه المكان والرمز واللبنة الأولى للبناء الاجتماعي والديني للدولة، وقد كان بناء المسجد واجباً على الجميع إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعاً بالعمل على إنشاء المسجد وعمل هو بنفسه في البناء<sup>(131)</sup>. ويعد بناء المسجد حلقة مهمة من حلقات

(129) عبد الخالق، نيفين، مجلة المسلم المعاصر، 1995، عدد 77، ص 104.

(130) ينظر: أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، د. محمد عمر الشاهين، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، السنة الرابعة، المجلد 4، العدد 2، 2009، كركوك (العراق)، الصفحات 97-106، ص 99.

(131) ينظر: السيرة النبوية، ابن كثير (ت 774 هـ)، بيروت، د.ت.، ص 400.



وحدة الأمة التي أنجزها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجتمع المدينة. فهي تجسيد حركي لتفعيل مفاهيم الترابط الاجتماعي في عقول الناس بأسلوب ومنهجية وفكر جديد. لقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاهيم الوحدة العشائرية بمفاهيم وحدة الأمة ، إنها إعادة صياغة فحسب ، فدوافع الوحدة وقيمتها راسخة في عقول الناس الذين يعيشون أجواء الجزيرة العربية حينها لكنها وحدة ضيقة لا تؤدي إلى وحدة أمة ، فنقلها القائد إلى أسمى حالة باعتماده كما أسمينها بمستويات الوحدة وحلقاتها الثلاثة مضافاً إليها استدراك لخصائنها ؛ تجسد ذلك بالحراك المجتمعي المتآزر.

لقد وقر المسجد وضمن للمجتمع السائر في طريق الوحدة والامتزاج مكاناً يلتقون فيه بالقائد الأعلى الذي يتلقون منه الأوامر، ويوصلون إليه مقترحاتهم وشكاواهم، وهو المكان الذي يجتمعون فيه للتشاور في الأمور كلها الدينية والاجتماعية والسياسية، فهو الموقع الرسمي لاتخاذ قرارات الدولة كلها<sup>(132)</sup>. وهكذا أصبح المسجد مركز الدولة الجديد ومقراً للمشاورات للشؤون العامة إلى جانب كونه محلاً لعبادتهم، وعده البعض رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل لأنه أصبح مركزاً روحياً لأداء العبادات ودائرة سياسية عسكرية لتوحيد علاقات الدولة في الداخل والخارج ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحتها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤسسة اجتماعية يتعلم فيها النظام والمساواة ويمارسون التوحد على كلمة واحدة والاحياء والانضباط<sup>(133)</sup>. وصار المسجد كذلك مكاناً للحكم بين المتخاصمين بالحق والعدل ، وهو كذلك مركز لانطلاق الجيوش الفاتحة ، كما هو مدرسة ينهل فيها الناس من بحر المعرفة<sup>(134)</sup>. ومركزاً للفعاليات الدينية والسياسية العامة<sup>(135)</sup>. لقد حقق المسجد فعلاً مركزية في بناء الدولة ومحورية في الالتفاف حول القائد العام ؛ وضمن فرصة اللقاء به خمس مرات في اليوم والليلة ، فضلاً عن الدعوات الطارئة للقائه صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا ما أدى إلى ترسيخ العلاقة بين أفراد المجتمع الواحد فيما بينهم أولاً ثم ترسيخ العلاقة بينهم وبين قائدهم.

(132) ينظر: الأمة والدولة في سياسة النبي (ص) والخلفاء الراشدين نزار عبد اللطيف الحديثي ، بغداد ، 1987م ، ص 142.

(133) ينظر: دراسات في السيرة ، أ.د. عماد الدين خليل ، الموصل ، 1983م ، ص 149.

(134) ينظر: النظام السياسي في الإسلام ، محمد عبد القادر أبو فراس ، الكويت ، 1984 ، ص 141.

(135) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، مطبعة المجمع العلمي ، الموصل ، 1991 ، ص 194.



ولم يكن المسجد الخطوة الأولى في قيام الدولة الإسلامية كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين<sup>(136)</sup>، فقد سبقته خطوات عديدة بدأت قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - كما ذكرنا فيما سبق - ، وإنما كان مركزاً رائداً لرمزية وحدة الأمة والتفافها حول قائدها.

**ثانياً: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:** وهي الحلقة الثانية من حلقات توحيد المجتمع بحسب ما ذكرنا سابقاً. وهي الخطوة الثانية بعد بناء المسجد ، إذ تمت هذه الخطوة في دار أنس بن مالك<sup>(137)</sup>، على الحق والمساواة والميراث<sup>(138)</sup>. وقد تحقق من المؤاخاة عوامل عديدة في الوحدة وقوة مجتمع الدولة الجديدة منها التلاحم بين مجتمعين مختلفين ، هما المهاجرون من مكة والأنصار في يثرب ، وعالجت كذلك المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تحدياً أمام المهاجرين ، فتم تذليل هذه العقبة تماماً. إنها عملية تكييف اجتماعي لأولئك الذين هاجروا من مكة تاركين أهلهم إلى بيئة جديدة تأكيداً للتضامن الاجتماعي وتعزيزاً للمودة ، مهمتها التقريب بين الناس وزيادة تماسكهم ، ولم تقتصر المؤاخاة على المقاسمة في السكن والمال بل امتدت إلى نواحي الحياة كافة<sup>(139)</sup>. لقد عالجت المؤاخاة أمراً اجتماعياً مهماً ؛ ذلك أنّ الأنصار كانوا أول أمرهم ينظرون إلى المهاجرين أنهم حلفاء لهم ؛ فعمد رسول الله ﷺ على تغيير مفهوم الحلف إلى نظام جديد غير معهود<sup>(140)</sup> ؛ تلك هي الأخوة في الله ، وهذا تحويل آخر في المفاهيم والقيم التي كانت قوية متماسكة في عقول وصدور الجميع لكنه ﷺ حوّل تلك القيم من حالة إلى أخرى ، انتقل بهم من الحلف إلى الأخوة ؛ ولعل مفهوم الأخوة في الإسلام تجلّى بكل وضوح في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وبالرغم من أن المؤاخاة تضمنت حق الميراث إلا أنها لم تؤثر في ذلك شيئاً؛ إذ لم يمت منهم

(136) ينظر: أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، ص 99.

(137) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، محمد ابن سيد الناس ، القاهرة ، 1356 هـ ، ص 247.

(138) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، بيروت ، د.ت. ، ج 3 ، ص 70.

(139) ينظر: الأمة والدولة في سياسة النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين نزار عبد اللطيف الحديثي ، بغداد ، 1987م ، ص 31.

(140) ينظر: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة ، خالد صالح العسلي ، بغداد ، 2002 ، ج2 ، ص 59.



أحد حتى نزول سورة الأنفال فصارت للرحم دون المتآخين<sup>(141)</sup> ، قال تعالى: (وألو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) . وهكذا عُدَّت المؤاخاة تجربة رائدة في تاريخ العدل الاجتماعي ؛ فقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مثلاً فريداً على مرونة الإسلام وانفتاحه في الظرف المناسب على أشد العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلاً<sup>(142)</sup>. فكانت حقاً تحدياً كبيراً للمجتمعات التي تتبنى المشاريع الانسانية ؛ وغايتها خدمة الانسان كما يقولون ؛ فقد صار مشروع المؤاخاة تحدياً كبيراً لمثل هذه المجتمعات الغربية فيها خاصة أن يأتوا بمثل هذا المثال للمجتمع المتآزر الذي يعد لبنة الوطنية ومثال التفاعل بين المواطنين وقائد الدولة جميعاً ؛ هذا المثال الذي قدّمه الصحابة رضي الله عنهم كخير جيل عرفته المعمورة وجعلوه نبراساً للإنسانية كلها حتى قيام الساعة.

**ثالثاً: كتابة دستور<sup>(143)</sup> للمدينة:** وهي الخطوة الرائدة لتنظيم العلاقات بين سكان المدينة وحفظ حقوقهم جميعاً أفراداً وجماعات ، فضلاً عما يؤديه هذا الدستور من ضمان الوحدة بين سكان المدينة وهو كما أشرنا سابقاً الحلقة الثالثة والأوسع في توحيد المجتمع المدني.

لقد عمل رسول الله ﷺ على تحويل ولاء الأفراد من الولاء العشائري إلى الولاء للأمة ، والناس فيما سبق عاشوا في ولاءات حقيقية مغروسة مع الشخصية الناشئة في خضم تلك الظروف ، فنقل رسول الله ﷺ تلك الولاءات من خلال ممارسة فكرية من ولاءات العشيرة إلى ولاء الدولة. وهذا هو مبدأ التحويل الذي اعتمده رسول الله ﷺ في إنجاز وحدة الأمة.

أما عن تاريخ كتابة الصحيفة: فقد جاء ورودها عند ابن إسحق بعد حديثه عن بناء المسجد

(141) ينظر: المحبر ، أبو جعفر ابن الحبيب ، بيروت ، 1361هـ ، ص 71 . و تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، القاهرة ، 2004م ، ج 4 ، ص 56.

(142) ينظر: دراسات في السيرة ، أ.د. عماد الدين خليل ، الموصل ، 1983م ، ص 56.

(143) وقد سماه كتب السيرة بـ (الكتاب أو الوثيقة أو الصحيفة) ، وأطلقت عليه الأبحاث والدراسات الحديثة والمعاصرة بـ (الدستور) [ينظر: أصح الكلام في سيرة خير الأنام السيرة النبوية ، د.علي محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الامارات العربية ، 2001م ، ج1، ص 547 ] ، وهناك من يطلق عليها بالصحيفة أو الميثاق أو العهد أو العقد وغيرها للتعبير عن دلالاتها المتعددة [ينظر: نشوء الفكر السياسي الإسلامي من خلال صحيفة المدينة ، خالد بن صالح الحميدي ، دار الفكر، بيروت ، 1994م ، ص 62-67].



وقبل إعلان المؤاخاة<sup>(144)</sup>. فيما ذكرت أغلب المصادر أنها كتبت قبل معركة بدر<sup>(145)</sup>.

**رابعاً: بناء الجيش:** يرتبط بناء الجيش بوجود الدولة ؛ ولم يكن للقبائل العربية جيوش بالمعنى المتعارف عليه لعدم امتلاكها للدولة أصلاً ، بينما كان أفراد القبيلة جميعاً يدافعون عن حياض القبيلة، يدافعون جميعاً عن الأموال والأعراض ؛ فكادت حياتهم أن تكون كلها حرباً دائمة وقدراتهم القتالية وإقدامهم في الحرب جعلت منهم مقاتلين بوسائل<sup>(146)</sup>.

وقد عمد رسول الله ﷺ على تحويل دافعية القتال من القبيلة غير المنظمة إلى دافعية منظمة ضمن سرايا الدولة ، فوحد قوة الدفاع ، وجعلها قوة مركزية تدافع عن كيان الدولة لا العشيرة فحسب، وجعل مصلحة العشيرة وأمانها مرتبط بمصلحة الدولة واستقرارها. فصار الدفاع عن العشيرة تحصيل حاصل - كما يقال- متضمن في الدفاع عن الدولة أو الأمة التي أقرتها الصحيفة ؛ فكان في ذلك توحيد لمفهوم الدفاع وترسيخ للوحدة التي جعلها رسول الله ﷺ في كل أمور الحياة موجهة ومتحكمة.

---

(144) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباري ، القاهرة ، ج 1 ، ص 502.  
(145) ينظر: الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ، صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1969م ، ص 104.  
(146) ينظر: دراسات في النظم العربية الإسلامية ، توفيق سلطان البيوزكي ، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1988، ص 151.



## المبحث الثالث

### قراءة في الأساليب النبوية التطبيقية

#### ودورها في تحقيق وحدة المجتمع وبناء الدولة

#### أسلوب (التحويلية) وأسلوب (التنوية المجتمعية) أنموذجاً

من المهم الوقوف على ما أطلقنا عليه بالنظرية النبوية وتطبيقاتها في بناء مجتمع الدولة وتوحيد الأمة.. فبعد أن تناولنا بعض أفعال رسول الله ﷺ في المدينة وأدائه في تحقيق وبناء وحدة الأمة؛ فإننا نقف على ظاهرة خفية في أداء رسول الله ﷺ وقدرته على تحويل انتماء المجتمع المدني من ولاء القبيلة إلى ولاء الدولة.. إنها حقاً خطوة فريدة من نوعها في فقه الانتماء المتولد والناجم عن تأسيس قناعات جديدة لم تكن موجودة.

ومن أهم القضايا التي تركز عليها النظرية النبوية (التحويل- الترقّي) هي مبدأ الأمثلة في التعامل مع الطاقات المجتمعية واستقطابها واستثمارها بأقل جهد ممكن باعتماد أسلوب الاقناع الفكري. و(التحويل- الترقّي) هو التحويل الفكري الذي يؤدي إلى تحقيق الرقي التطبيقي فيما بعد.

فلعل من الأهمية بمكان الإشارة والملاحظة إلى أن رسول الله ﷺ لم يبذل جهداً في صناعة الإمكانيات البشرية؛ وإنما انطلق من الإمكانيات البشرية الكامنة في مجتمعه ، فالمجتمع البشري في كل زمان ومكان مليء بالطاقات والإمكانيات التي إن استُغلت وتوحدت وتنظمت فإنها ستؤدي تأثيرها وتحقق هدفها.

فكيف استثمار رسول الله ﷺ الإمكانيات المجتمعية؟ وكيف وجهها بما يخدم قضية الدولة وقيامها

وتوحيد الأمة؟.

لمعرفة ذلك نجد من الأهمية بمكان الوقوف على بعض الأمثلة التطبيقية ؛ منها:



**المثال الأول:** علم رسول الله ﷺ أن مجتمع المدينة يمتلك ولاءً عظيمًا للقبيلة ، وما المعركة التي كانت قائمة بين قبيلتي الأوس والخزرج إلا دليل واضح على ذلك الولاء المطلق لنصرة القبيلة مهما كانت ظالمة أو مظلومة ، إنما هو الولاء للانتماء العشائري والقبلي فحسب.

لقد عمل رسول الله ﷺ على تحويل ولاء الأفراد من الولاء العشائري إلى الولاء للأمة ، فعاش الناس في ذلك الوقت في ولاءات حقيقية مغروسة مع الشخصية الناشئة في خضم تلك الظروف ، فنقل رسول الله تلك الولاءات من خلال ممارسة فكرية من ولاءات العشيرة إلى ولاء الدولة. وهذا هو مبدأ التحويل الذي اعتمده رسول الله في إنجاز وحدة الأمة.

لقد قدّم رسول الله ﷺ ربما فكرة واحدة كانت كفيلة بإقناع عموم قبيلتي الأوس والخزرج في تحويل مبدأ الولاء من ولاء القبيلة المطلق إلى ولاء الدولة مع إبقاء ولاءات القبيلة بما يحقق التكافل الاجتماعي بينهم، فيكون حق القبيلة مكفولاً والدفاع عنها مضموناً. وقد فعل ذلك من خلال ممارسة فكرية ليس إلا ، فعمد على تحويل الولاء وعظمه ؛ فجعله يرقى من مستوى الولاء للقبيلة إلى الولاء للدولة. مع ضمان الحصانة الفكرية لديمومة ذلك التحويل.

**المثال الثاني:** وقد عمد رسول الله ﷺ إلى تحويل دافعية القتال من القبيلة غير المنظمة إلى دافعية منظمة ضمن سرايا الدولة ، فوحد قوة الدفاع ، وجعلها قوة مركزية تدافع عن كيان الدولة لا العشيرة فحسب، وجعل مصلحة العشيرة وأمانها مرتبط بمصلحة الدولة واستقرارها.

لقد اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوباً فريداً في التغيير ؛ وأسلوبه يعتمد الإقناع العلمي القائم على الحقائق والمصادقية ؛ فقدم للناس أفكاراً جديدة ترقى بمستوى أدائهم كما أنها تضمن لهم تحقيق ما كان يتحقق لهم في أدائهم السابق مضافاً إليه إنجازات جديدة كبرى.

**المثال الثالث:** الوحدة الانسانية بحسب مفهوم التكافل الاجتماعي:

إذ يزداد تأكيد النبي ﷺ على مفهوم الوحدة الانسانية المتماسكة القوية وفق التكافل



الاجتماعي<sup>(147)</sup>؛ وهذا يعد واحدا من التحويلات التي أجراها الرسول ﷺ بحسب ما أسمىه بنظرية (التحويل-الترقي) فهو عليه الصلاة والسلام لم يصنع أو يولد مفهوم التكافل في مجتمع المدينة وإنما كان التكافل موجوداً بصيغة معينة؛ ولكنها كان في محدودية ومساحة ضيقة فعمل صلى الله عليه وسلم على تحويله وترقيته وترسيخ مساحة العمل فيه في قدرة فكرية جديدة وجيلية ، ونظرة سامية وقناعة كبيرة ؛ ومعنى آخر يكون قد حوله من حيز إلى آخر أفضل منه ومن حالة إلى أخرى أرقى منها.

### أهم الأسس الادارية لبناء الدولة بحسب أسلوبي (التحويلية- التنوية) المجتمعية:

#### الجوانب الإدارية التي تضمنتها وثيقة المدينة وأهميتها في بناء الدولة:

انتقل رسول الله ﷺ من مكة إلى يثرب وكانت مكة حينها مجتمعاً شهد كثيراً من المظاهر الحضارية<sup>(148)</sup>. ويعود ذلك السبق للمجتمع المكي في التنظيم ، أما أهل يثرب كانوا يعيشون حياة النزاع والانقسام بسبب الخلافات الناشئة بين الأوس والخزرج من جانب والقبائل اليهودية الثلاث من جانب آخر<sup>(149)</sup>. لذا فقد نقل رسول الله ﷺ خبرته المكيّة أولاً في تنظيم المجتمع إلى الدولة الجديدة المراد تشكيلها في يثرب. إن فشل مجتمع يثرب في تأسيس دولة لهم جعلهم يتطلعون إلى القيادة التي توحدهم وتجمعهم تحت سقف دولة<sup>(150)</sup>. لذا فقد وجدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرضه عليهم من أسس الدين الجديد الذي يضمن لهم حقن دمائهم أولاً ، ومن ثم رؤيته صلى الله عليه وسلم في تنظيم البلاد، وجدوا في ذلك إنقذاً حقيقياً للمجتمع في يثرب.

(147) ينظر: حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة ، أ.د.عاصم اسماعيل كنعان و م.د.حسين تركي عمير ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، العدد الثاني ، حزيران 2012 ، الصفحات 174-197 ، ص 188.

(148) ينظر: حكومة الرسول - دراسة تاريخية دستورية مقارنة ، د. هاشم يحيى الملاح ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 2002م، ص 13.

(149) ينظر: الدعوة الإسلامية وحياة البداوة ، د.شهلة إبراهيم عبد الله ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2007م ، ص152.

(150) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، د. هاشم يحيى الملاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007م ، ص168.



وبدأ رسول الله ﷺ أول ما بدأ بتحديد خصوصية كل نواة في المجتمع الجديد لتأخذ مكانها وقوتها فذكرت الصحيفة المهاجرين كمجموعة قائمة بذاتها فقال في أحد بنود الصحيفة: (المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين)، وفيما يتعلق بالأنصار فقد ذكرت الوثيقة بطون قبائلهم المهمة بالتفصيل مثل (وبنو عوف على ربعتهم، وهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تبدي عانيها بالمعروف)، ثم عدت بطون القبائل الأخرى، كبنو الحارث وساعدة وغيرها. فجعل لكل مجموعة أو قبيلة خصوصيتها وحققها في الانسجام الداخلي أو التكافل الداخلي لها. وهو بذلك يسرد شخوص ومجاميع المجتمع التي ستوجه إليها المسؤولية في إقامة البناء الداخلي لهذا المجتمع.. فوعت تلك المجاميع قدر المسؤولية الملقاة على عاتقها في الوضع الجديد الذي يريد الرسول إقامته.

ولم تتجاهل الوثيقة شريحة الموالي في مجتمع المدينة الأخرى من موالي؛ بل عدتهم عنصرا مهما من عناصر مجتمع المدينة وأعطتهم الحقوق وفرضت عليهم الواجبات، فقد جاء فيها: (وان موالي ثعلبة كأنفسهم).

أما بالنسبة إلى اليهود فقد ورد ذكر بطون قبائلهم في الوثيقة قبيلة قبيلة. هكذا وضعت النقاط على حروفها وأصبح الجميع تحت وطأة المسؤولية الشريفة التي هدفها إقامة مجتمع آمن متآزر لا يرضى بالظلم وأساسه العدل والمساواة.

وقد تعاملت الوثيقة مع سكان المدينة الذين يخضعون لقوانينها ويعيشون على أرضها شعباً واحداً على اختلاف أديانهم؛ فحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم المجتمع إلى وحدة صلبة متماسكة كالجسد الواحد تحكمه قيادة واحدة ورؤية مستقبلية مشتركة، ومارس المسلمون دور القيادة وكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة النواة التي تستقطبت وتجمع الذين ارتبطوا سياسياً بالمجتمع والنظام الجديد



جميعهم، وهذا الأمر فيه ما فيه من الوضوح للطابع السياسي والمدني للبناء السياسي الجديد<sup>(151)</sup>. ولعل من فوائد هذا التقسيم للقبائل هو:

1. ان القراءة المتمعنة في البنود من (1 - 11)، وكذلك البنود من (26-33) توضح أن الرسول الكريم محمد ﷺ قد نظم الدولة والمجتمع تنظيمًا عامًا، فقد رسم الحدود العامة للسكان المهاجرين والانصار واليهود وأقرهم على الحدود التي كانوا يسكنونها، وكذلك وضع لهم طبيعة العلاقة بينهم كيف تكون، وبذلك قد حقق لكل طرف احترامه وشخصيته<sup>(152)</sup>.
  2. أنها أعطت الجميع مكائهم في الدولة الجديدة؛ إذ لم يقتصر ذلك على القبائل العربية الكبيرة، بل إنهم أعطت الانسان قيمته حتى لو كان من الموالي، فارتاحت النفوس إلى قوانين الدولة العادلة ونشطت طاقات إيجابية جديدة لم تكن معهودة في النفوس هي طاقة (المواطنة) الصالحة.
  3. أنها حددت المسؤوليات المكانية لكل قبيلة، فكل قبيلة مسؤولة عن الأرض التي تسكنها.
  4. جعلت الجميع محط نظر من المسؤولية الملقاة عليهم.
- وأما اليهود فقد تعاملت الوثيقة مع كل عشيرة يهودية في المدينة بصفتها جماعة قائمة بذاتها، لكنها في الوقت نفسه تكون مجتمعاً مع المؤمنين، جاء في (البند 25): (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين وهكذا ذكرت الصحيفة كل قبائل اليهود قبيلة قبيلة)، وعدتهم بصفتهم حلفاء لبطون الأوس والخزرج وليس بصفتهم المستقلة، وهذا ارتباط آخر وتنبؤ على مستوى التحالف بين اليهود وقبائل الأوس والخزرج لتوثيق الترابط وتوثيق العهود وتوثيق البناء المجتمعي، فتحدثت عن يهود بني عوف ويهود بين الحارث ويهود بني النجار، وغيرهم.

وقد أقرت الوثيقة مبدأ المسؤولية الفردية بالنسبة لليهود، فإذا ما ارتكب أحدهم جريمة أو عدواناً

---

(151) ينظر: محمد وأول دستور للدولة الإسلامية، د. محمد عمارة، (بحث منشور ضمن كتاب: محمد نظرة عصرية جديدة)، بيروت، 1985م، ص 100.

(152) ينظر: وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية، د. حاتم كريم جواد اليعقوبي، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، مجلد 1، إصدار 11، العراق، 2012، ص 147-148.



على أحد، فإن مسؤولية ذلك الجرم تقع على عاتقه وحده<sup>(153)</sup>. وفي ذلك اطمئنان للناس جميعاً؛ أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن الفرد الصالح لا يصيبه من تبعاد الأفراد غير الصالحين شيئاً مما يؤذيه.

وحددت الوثيقة بعض الواجبات الملقاة على عاتق اليهود فنصت على وجوب معاونة اليهود للمسلمين ضد من يحاربهم، وأن على المسلمين نفقتهم وعلى اليهود نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، فجعلهم يرتبطون بمصير واحد هو الدفاع عن الوطن، وألزمت الوثيقة اليهود بعدم منح الجوار لمشركي قريش ولا حتى نصرها، كما أن من واجبه مناصرة المسلمين في حرب من غزا يثرب (المدينة)<sup>(154)</sup> باعتبار أنهم يمثلون مع المؤمنين شعباً واحداً ومجتمعاً واحداً يجمعه مصير واحد. لقد حوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة إنفاق اليهود على الحروب من فكرة خيانة إلى فكرة مواطنة صالحة، فقد كان اليهود يشرفون على الحرب الداخلية الطاحنة بين الأوس والخزرج وينشطونها إعلاماً وتمويلاً من خلال بث الدسائس والأحقاد بينهم، وكان موقفهم في ذلك موقف الخائن لأرضه ولجتمعه؛ فهم لا يشعرون بالمواطنة الصالحة ولا يمارسونها، فحوّل رسول الله ﷺ موقفهم هذا إلى موقف تستدعيه الوطنية والمروءة من خلال ما كلفهم به من بعض الإنفاق على حروب الدفاع عن المدينة فكان تحويلاً إيجابياً في الفكرة والتطبيق؛ فيكون بذلك قد محى سيئة واستبدلها بحسنة، فمحي الخيانة واستبدلها بالمواطنة الصادقة، وقد أقره على ذلك ظاهراً.

إن بعض الواجبات التي كُلف بها اليهود تتمحور حول مساندتهم المسلمين في الدفاع عن المدينة وتقديم العون لهم في حالات الحرب وخاصة من الجانب المالي، مما يدل على أن الجانب الحربي كان يشكل حاجساً للمسلمين في هذه المرحلة، فضلاً عن أنها تعكس عدم اطمئنان رسول الله والمسلمين إلى اليهود، لذا فقد ألزمهم في هذا الجانب بصورة دقيقة<sup>(155)</sup>. ودوّن في الصحيفة بنوداً واضحة لا لبس فيها، من زاغ

(153) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام (ت 218هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار، ط 1، القاهرة، 2005م، ج2، ص 454-455.

(154) ينظر: وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية، ص 148.

(155) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص 185.





فالتكتل العشائري يقع ضمن رابطة الأمة الإسلامية وهو خاضع لها<sup>(158)</sup>. إلا أنّ المهم هنا أنه صلى الله عليه وسلم أفاد من الواقع الموجود ومارس العملية التحويلية للولاء العشائري ورفّاه إلى ولاء للأمة.

وقد حرص الرسول محمد ﷺ من خلال وثيقة المدينة على تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل المدينة وخارجها من خلال احترام حق الجوار واعتبر الجار كالنفس: (وان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم). فبنى بذلك نسيجاً مجتمعياً متماسكاً كان هو الضامن لوحدة الأمة وقوتها.

ثم جمع رسول الله ﷺ الأمة على قضية فكرية أخرى هي (وحدة الأرض)؛ فأهل المدينة تجمعهم أرض الوثيقة التي وافقت عليها الأطراف المختلفة وتوّت مجتمعة ومتمركزة حول فكرة أصيلة تجمعهم. وبذلك جمع مجتمع المدينة على مصير واحد ومستقبل واحد فكان ذلك عنصراً أصيلاً من عناصر التماسك والوحدة. فهذا الركن المهم لتكوين الدولة الذي أكد الرسول محمد ﷺ عليه هو الاعتزاز بالأرض التي تقوم عليها تلك الدولة، فأكدت الصحيفة على حرصه ﷺ على أمنها وحرمتها، وقد دلّ على ذلك (البند 39) بقوله: (وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة).

كما جعل الرسول محمد ﷺ الدفاع عن أرض المدينة مسؤولية مشتركة، فوحدهم أيضاً في المسؤولية عن أرضهم فأوجب على كل من سكن المدينة الدفاع عنها اذا ما اعتدي عليها من الخارج، وورد ذلك في بنود (38،37،24،16،45،44)، وجاء في احداها (وان بينهم النصر على من داهم يثرب)، وفي الآخر (على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم). فجعلهم جميعاً على ثغرة من ثغور الوطن الواحد فصارت التقسيمات العشائرية والمجاميع المجتمعية مسؤولة عن أراضيها كل من جانبه وقبّله.

ومن الجوانب الإدارية المهمة التي تضمنتها وثيقة المدينة هو التركيز على الإدارة العسكرية؛ فذكر قضيتي الامن والسلم داخل المدينة إذ جاء من ضمن البنود: (سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم) فجعلهم كالجسد الواحد، و(ان المؤمنين يبيء بعضهم

(158) ينظر: الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988م، ص 117.



على بعض بما نال دماؤهم في سبيل الله) ، ووفقا لذلك فالمسؤولية مشتركة في الحرب والسلام على كل من سكن المدينة أو ارتبط بعهود ومواثيق صحيفة المدينة أو دستورها. كما لم تقتصر احكام الحرب والسلام على المسلمين ومن تبعهم من العرب، بل شملت اليهود، فورد في الوثيقة: (من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم) ، (ان بينهم النصر على من حارب من اهل هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم).

فجعل الأمن قضية مفهومها جماعي ، وحول فكرة الأمن الفردي أو القبلي إلى فكرة الأمن الجماعي أو الكلي لأهل المدينة جميعاً ، فارتقى بذلك من فكر الأمن القبلي إلى الأمن الأممي. وهذا بحد ذاته يؤسس لقضية أن الأمن الفردي لا يتأتى إلا بسلامة الأمة وأمنها؛ وأن مجرد التفكير بتحقيق الأمن للذات يقتضي فوراً التفكير بتحقيق الأمن للأمة كلها. وهكذا أكدت الصحيفة في أكثر من موضع على أن اليهود مواطنون صالحون ، هذا هو الأصل الذي تم التعاهد عليه في دستور المدينة.

فالأمن وفقاً لما تقدم مركزي عام يسهم الجميع في تحقيقه لمصلحتهم وليس تنفيذاً لأوامر خارجية، فلم يضع الرسول محمد ﷺ في المدينة شرطة لمطاردة المفسدين ولا سجوناً لحجزهم<sup>(159)</sup>، وإنما ان يعتري الجميع شعوراً بالمسؤولية تجاه اي اعتداء او ظلم او اثم او عدوان يحدث بين المؤمنين وان كان القائم بذلك احدهم ، وهكذا نشأ مفهوم المواطنة لدى مجتمع المدينة ودولتها بحسب الدستور ، فكان المواطنون فيها من المؤمنين أو اليهود جميعهم مواطنون صالحون، وهذا يجعلنا نعتقد بأن الوثيقة تشبه في مضمونها الدساتير الحديثة التي لا تستثن احدا من تطبيق القوانين، وان لا سلطة تعلو فوق سلطة القانون، وهذا ما نجده اليوم مدوناً في الدساتير الحديثة. بل إن التطبيق النبوي لهذا الدستور حمل مصداقية أمثلية لا يمكن لمن جاء بعده من دساتير الأرض كلها أن يصل إلى مصداقيته قطعاً.

(159) ينظر: الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ، صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1988م ، ص 110.



## قيادة الدولة:

أما الركن المهم الذي تبلور من خلال وثيقة المدينة فهو وجود النظام الذي يحتم إيجاد القيادة على رأسه ، وتمثلت هذه القيادة بشخص الرسول الكريم محمد ﷺ الذي تولى السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية بموجب ما جاء في بنود الوثيقة وكذلك بناء على ماورد في القرآن الكريم من آيات بهذا الخصوص. ثم إنه من خلال ذلك سوف يؤسس لجيل من الصحابة يتولى فيما بعد تلك السلطات في غياب الرسول أو بعد وفاته ، وبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وامتدادها على الأرض.

وجاء في الوثيقة: (وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد)، وجاء فيها: (وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فأن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله)، وبهذين البندين من الوثيقة حصرت السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية في شخص الرسول الكريم محمد ﷺ، فالرسول بمثابة النواة التي تلتف حولها الدوائر المجتمعية في المدينة، وساعد ذلك في وحدة المجتمع وتحويله من مجرد مجتمع انساني الى مجتمع سياسي، وقد تولى ذلك في وحدة الجهة التي تصدر الحكم في حل المنازعات والخصومات التي تحدث في المجتمع(160).

ويمكن القول ان الرسول محمد ﷺ حوّل مجتمع المدينة من مجتمع قبلي الى مجتمع مواطنة شاملة ومجتمع مدني منظم ، تتفاعل فيه جميع الجوانب الانسانية والسياسية والاجتماعية وغيرها لخدمة الانسان ولتحقيق هدف اكبر هو وحدة المجتمع الانساني اجمع. وتعد قيادة الرسول محمد ﷺ للسلطات الثلاث تطوراً ملحوظاً في حياة مجتمع المدينة، إذ أوجد سلطة قضائية مهمتها حسم المنازعات بين الأفراد والجماعات وتمنع الناس من استرداد حقوقهم عن طريق الثأر والثأر المقابل، بل وفق مبادئ العدل؛ إذ نصت الصحيفة على: (وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً [أي قتله بدون حق] عن بينة، فإنه قود به الى ان يرضى ولي المقتول، وانه المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وإن لا يحل لمؤمن اخر بما في هذه الصحيفة وامن بالله

(160) ينظر: الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها ، جاسم محمد راشد العيسوي ، رسالة ماجستير ، مكتبة الصحابة، الامارات ، 2006 م ، ص 135.



والىوم الاخر، ان ينصر محدثا ولا يؤويه، وان من نصره واواه، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل).

وقد ضمن كل من سكن المدينة أو جاورهم حقوقه وما عليه من واجبات في الدولة الجديدة فقد ورد في الصحيفة أحد عشر بندا (25-35) تتحدث عن هذا الامر منها: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وانفسهم غلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (أي لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته)، (وان ليهود بني اوس مثل ما ليهود بني عوف) ، (وان موالي ثعلبة كأنفسهم) ، وقيدت الوثيقة جميع هؤلاء وغيرهم بعدم الخروج عن تحالفهم إلا بأذن النبي محمد ﷺ، فقد ذكر فيها: (وأنه لا يخرج منها احد إلا بأذن محمد ﷺ). فصارت المدينة محصنة بشكل كامل داخليا ، ومتماسكة بشكل كامل تجاه أي تحديات خارجية ؛ وكان ذلك بحد ذلك إرهاباً للعدو في مكة لما سمعوه من أخبار تنظيم الدولة ودستورها.



## الفصل الثالث

### رؤية نهضوية

#### حول إقامة مشروع مواطنة في إدارة الأزمات

#### —مدينة حاضنة للاعتدال أمودجاً—

تعد المواطنة العامل الأكبر في تحقيق البناء الحضاري لأي أمة من الأمم أو بلد من البلدان وقضية من أهم قضايا الأفراد والمجتمعات تجاه بلادهم وأوطانهم وأمهم هذا فضلاً عن ضمان حقوقهم وجلبها وتحقيق مصالحهم العامة والخاصة، لذا فقد ارتأينا أن نقدم المواطنة في هذا الفصل كمشروع حضاريٍّ للأمم والشعوب التي أصابتها نكبات الاحتلال والظلم والدمار والاستبداد والتغريب. ولا يخفى ما أصاب شعوبنا العربية والإسلامية مؤخراً في العراق وسوريا واليمن وليبيا من تدمير للمجتمعات وتفكيك أو اضرار النسيج المجتمعي كان ذلك كله بسبب ضعف مؤثر واحد عند تلك الشعوب ألا وهو (طاقة المواطنة).

ونقدم في هذا الفصل مشروعاً حضارياً علمياً يعتمد بالدرجة الأساس على (تفعيل طاقة المواطنة وإطلاقها بما يضمن إيجابية مفعولية تلك الطاقة) للوقوف على حلول ناجحة لإعادة بناء المجتمعات العربية وفق أصول علمية. من هنا فإن هذا الفصل مقدم إلى من يعرف قيمة ذلك العامل المؤثر في المجتمعات الانسانية (المواطنة) مقدم إلى أهل العلم والثقافة من العلماء الأكاديميين والمهندسين والأطباء والمحامين والقضاة والمدراء ورؤساء الدوائر والمعلمين والمدرسين والموظفين جميعاً. هؤلاء هم قادة المجتمع، هؤلاء هم من يملك زمام المبادرة، هؤلاء هم من يقود الشعب إلى الخير والنجاح ويقدم ملامح الحضارة ويقود النهضة. لذا فإننا قد وضعنا جملة من التصورات والمشاريع لمجموعة من تلك الشرائح القيادية في المجتمع كنماذج يمكن على سائر الشرائح المجتمعية القيادية فيه.



## المبحث الأول

### الرؤية اللازمة لمنظومة المشاريع

#### الرؤية اللازمة لتقديم أي مشروع:

لعل أكثر ما نحتاجه اليوم هو إعادة بناء المواطن نفسه، وترميم أفكاره، ورؤيته لوطنه ومواطنيه، وتهيأته للعودة والتكيف مع الحياة السوية. ورأب الشرخ الذي حدث في ذاكرتهم كأفراد وأسر ومجتمع؛ اعتماداً على عملية (تحويلية) قادرة على قلب المفاهيم التي افرغت قسراً في عقول الناس عن أمور الحياة، وأولى تلك المفاهيم وأولها قضية الدين والتدين وتصحيح تلك الأفهام الخاطئة وتأويلات خادعة لهم.

من المهم لهذا المشروع أن يعالج ويبادر ويحاول القضاء على حالة الاغتراب التي عاشها المواطن في تلك الفترة المظلمة، ومن ثم القضاء على الصراعات الناشئة عن اختلاف الافكار والمعتقدات ؛ فصراع المعتقدات والأفكار تبقى محوراً للتفرق والتشردم والتفكيك؛ هذه الصراعات التي نشبت في عقول المواطنين بلا مبرر؛ فقد عاش العراقيون والموصليون عقوداً طويلة مسلمين ومسيحيين وشبك وعرباً وأكراداً وتركماناً عاشوا جميعاً مواطنين صالحين وأخوة متحابين ، تجمعهم المواطنة والانتماء. ولعل فيما ذكرناه عن مجتمع المدينة ، والدولة التي أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وقدوة تكون لنا مناراً في إعادة صياغة مجتمعنا ونسيجه المتنوع.

ولعل من مقتضيات بناء المواطنة لدى الفرد اليوم هو محاولة كسب المواطن كي لا يتأمر هو نفسه على قضيبته ، وهذا بحد ذاته تحدٍ كبير أيضاً.. نحن اليوم بحاجة إلى إعادة الذاكرة الدينية القديمة ، أو بناء ذاكرة جديدة ؛ والقضاء على تلك الذاكرة المرتبكة المليئة بالممارسات الخاطئة الآثمة، واستبعاد تراكماتها ، وزرع أمور تمسك بتلابيب الذاكرة الجديدة.

أصبح اليوم الفرد والمجتمع في حالة فراغ فكري بسبب ما تعرض له من صدمات أفرغت عقول



الناس من الذاكرة القديمة أفكاراً وعواطف وقناعات ؛ فإنسان اليوم أصبح إنساناً آخر مختلف عن إنسان الماضي ؛ ويمكن القول بأن أفكارنا ومشاعرنا وأخلاقنا تستقى من مصدرين هما:

1. ذكريات الماضي الأصيل؛ وما يتعلق بذلك من تراث المدينة وآثارها وما يربط الفرد بها من قيم وانتماء وهوية وحضارة.

2. إدراك الحاضر وما يتعلق به من علاقات مجتمعية وقدرات وروابط مجتمعية وغيرها.

وهكذا فإن الخطة التي أرادها عدو المجتمعات المتحضرة لمجتمعنا سائرة ومستمرة بتدمير الآثار والمساجد القديمة ؛ وتدمير كل ما يربط المواطن بالماضي والتراث لأن ذلك جزءاً من هويته وانتمائه ، وتشويه صورة الدين والتراث الديني بأسره في نظر المواطن، ثم تأتي المرحلة القادمة بملى الفراغ الفكري بما يريده العدو من أفكار وولاءات وقناعات في عقول الناس. هي حتماً غايتها تمزيق المجتمع وإبعاده عن روابط الدين القويم وتبديد الحصانة الفكرية والانتماء والمواطنة.

من هنا فإن مشروع (مدينة حاضنة الاعتدال) ينبغي أن تعمل على مستويين هما:

1 - إعادة الارتباط بالماضي ، وتنشيط كافة الممارسات التي تعيد الذاكرة بما يدعم الانتماء والولاء للوطن والأصالة.

2- معالجة مشكلات الحاضر مما علق في عقول الناس من إرباكات فكرية عارمة جعلت العقول في تأزم واستعداد لتجاوز الدين والقبول بأفكار الإلحاد والانحلال وغيرها.

إذن كيف التخلص من حالة الغناء المجتمعي التي يمكن أن تحيط بالمجتمعات وتحويله إلى ترابط وتأزر مجتمعي؟.. بمعنى كيف يمكن أن يُغيّر قناعات الأفراد والجماعات بحيث تشعر بالمسؤولية المجتمعية وتتنازل قليلاً عن قناعاتها بالمصالح الشخصية؟.

ولعل فقدان الشعور بالمواطنة وضعف الانتماء الى الوطن، أو ضعف الانتماء الى الهوية الوطنية هو العلة التي أدت إلى هذا الضياع، فالأسباب الحقيقية التي أدت إلى حالة (الغناء المجتمعي).. أسبابها



قديمة ومتراكمة منها الحصار والاحتلال والحكومات والسياسات. وقد وُلد ذلك مجتمعاً هشئاً بكل المقاييس.. هذه الهشاشة أدت إلى تمزق المجتمع وانفلات قيمه المجتمعية فصار غثاءً بين المجتمعات.. لذلك فعند التفكير بأي مشروع ينبغي أن نعلم مدى تأثيره على مثلث (المواطنة - الهوية - الانتماء) فنعلم مدى تأثير هذا المشروع على الناس ليكونوا:

- 1- مواطنين صالحين.
- 2- أصحاب هوية انسانية قادرة على الصمود امام تحديات العصر.
- 3- أصحاب انتماءات متوازية، متقاربين من بعضهم البعض، ويكون انتماؤهم بعيداً عن الولاءات الخارجية.

#### حول طبيعة المشاريع الناجحة:

- أولاً: تقديم مشاريع صادقة واقعية قادرة على الاستمرار مدعومة مؤسسياً.. تمتلك عناصر الحيوية والحياة؛ أي إنها مقبولة مجتمعيًا؛ فتكون مقبولة في المجتمع الذي تطلق فيه .
- ثانياً: تقديم المشاريع إلى المؤسسات الحكومية ضمن مشروع تطوير المدينة لأنها الوحيدة القادرة على إنجاز المشروع ، أو إلى مؤسسات المجتمع المدني لأنها تمتلك الأفراد القادرين على الإنجاز.
- ثالثاً: تقديم عدد كبير من المشاريع بحيث يكون فيها خيارات متعددة وتحقق إمكانية المناورة.. فمثلاً إن أردنا تنفيذ مشروعين مع الأوقاف فينبغي تقديم عشرة مشاريع إلى هذه الدائرة لاحتمال رفض أغلبها لعدم توافقها مع الخطة الموضوعة لها.. ومن ثم تبني المشاريع التي تتبناها الدوائر الحكومية.
- رابعاً: التفكير بمشاريع تكاملية؛ تكون في كافة الاتجاهات يدعم بعضها بعضاً.
- خامساً: التفكير قدر الإمكان بتقديم مشاريع يكون فيها المجتمع هو الجانب التنفيذي وهو المستفيد في الوقت نفسه.
- سادساً: أن تركز المشاريع بنسبة كبيرة على تنمية الشباب واستقطابهم.



## المواطنة مظلة المشروع النهضوي:

كل مشروع يراد له النجاح لا بدّ أن يركّز إلى المواطنة باعتبارها طاقة التفاعل بين أبناء الوطن مع هذا المشروع وتفعيله.

## مكونات المشروع النهضوي:

يمكن تعريف المشروع الحضاري بأنه منظومة من المشاريع المترابطة المتناسقة المنسجمة مع واقع المجتمع الذي ينتظر المشروع وتنفيذه، ومن الضروري أن تكون هذه المشاريع متكاملة تغطي شؤون الحياة كلها أو أغلبها، ويمكن ذكر بعض تلك المشاريع بما يأتي:

## مشروع الهوية الوطنية:

لعل أهم المشاريع التي تفرض نفسها هو مشروع الهوية الوطنية؛ وقضية المواطنة وما أصاب هذه المفردة من إشكالات قاسية أودت بالمجتمعات العربية وأهلها إلى حافات خطر التفكك وانحلال أو اصرها، وتبدد الوطنية والمواطنة أحياناً في نفوس شبابها على وجه الخصوص لما لاقوه من قسوة وجرأة على الانسان وقيمه وحياته.

## الاشراف على المشروع:

إذ لا بد أن تكون مؤسسات الدولة التربوية والتعليمية ومؤسسات المجتمع المدني؛ بل يقع الدور على كافة مؤسسات الدولة ومدرائها في تبني مشروع حضاري متفق عليه تكون (المواطنة) المحور الذي تدور حوله أفكار الاصلاح والنهضة. ومن هنا فقد كان واجباً على المعلمين والمدرسين والتربويين وعلى أساتذة الجامعات والمدراء والعمداء ورؤساء الأقسام في كافة الدوائر الحكومية والعاملين في المراكز البحثية والاعلاميين ومقدمي البرامج ومسؤولي الفضائيات والاذاعات والمذيعين والأطباء والمهندسين والمحامين والقضاة وكل مواطن يهيمه أمر بلده ودينه ويرغب بالعيش الآمن . أما المؤسسات المجتمعية والنقابية فيقع عليها العبء الأكبر في تبني مشاريع النهضة التي يمكن أن تنهض بالمجتمع والبلد والناس منها رابطة



التدريسيين الجامعيين ورابطة الطلبة والشباب ومؤسسة الرياضة والشباب ونقابة الأكاديميين الجامعيين ونقابة المعلمين ونقابة المحامين ونقابة الصحفيين ، والمهندسين ، والاقتصاديين .. وغيرهم.

يمكن الوقوف على محورين لمرتكزات المشروع النهضوي هما:

أولاً: المرتكز الأول للمشروع النهضوي (داخلي):

ويتضمن مبادئ ومرتكزات منها:

مجتمع الأخلاق الوحيد القادر على بناء حضارة: من هنا فإن من أهم علامات المواطنة هي التخلق بالأخلاق الحميدة والعمل به وهو من أهم مرتكزات الهوية الإسلامية، فهي حياة مستمرة ما شاء الله أن تستمر، ولنا أن نتخيل مجتمعاً يمتلك الأخلاق الحميدة؟! ، إنه حتماً مجتمع أمثلي واقعي يرقى إلى أعلى درجات السمو والحكمة والأخلاق والتفوق على سائر المجتمعات ، ولعل جيل الصحابة كان أقرب الأجيال إلى ذلك ومن هنا فقد حاز الخيرية ، ف "عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ) فَلَا أَدْرِي فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: (ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ)"<sup>(161)</sup>. أما السنة النبوية فقد كان دأبها تنشيط الأخلاق الحميدة ومتابعة تنفيذها وترسيخها لدى الناس في تفاصيل حياتهم كلها ، حتى صارت هوية جامعة للمجتمع كله، فقد جاء رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، وكان ﷺ في الوقت ذاته مرجعاً للصحابة في كل قضية مهما صغرت ؛ وبذلك فقد تحققت متابعة رسول الله ﷺ متابعة فعلية لمجتمع الصحابة وبإشراف مباشر منه صلى الله عليه وسلم . ولعل الأخلاقيات المجتمعية قد حازت مكاناً عالياً عندهم فنهضوا بالمجتمع أيما نهوض، وارتقوا به أيما رقي.

(161) رواه مسلم. حديث عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، كتاب فَصَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ : بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوهُمْ : ح(2533)، (4/1963).



ولكن كيف يمكن أن تتحول الهوية الإسلامية فتكون مشروعاً للهوية الوطنية؟ نريد بذلك جعلها مشروعاً يمكن إنزاله على أرض الواقع وتطبيق مفرداته؛ بحيث يتقبله الناس في كل مدينة برغم ما أصابهم من المشكلات النفسية ومحاولات تشويه الدين والقرآن الكريم.

ولعل الاجابة على هذا التساؤل تكمن في محاولة استلهام القيم الأخلاقية التي دعا إليها القرآن الكريم وأهمها الأخلاق المجتمعية كتعزيز روح التسامح والعفو ونبد العنف والكرهية وما تجره من الفرقة والتنازع والفشل ؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] ؛ والدعوة التي أكد عليها القرآن الكريم في التعايش والسلم المجتمعي واحترام الآخرين مع اختلاف أجناسهم وأديانهم ؛ وهي دعوة قرآنية مؤكدة؛ قال تعالى: ﴿فَاَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 89] فالصفح والعفو من الأخلاق الظاهرة التي دعا إليها القرآن الكريم، ورسخها في أذهان المسلمين المتدبرين لآياته.

وقد دعا ديننا إلى التراحم والتسامح واستيعاب الطرف الآخر والعفو عند المقدرة لضمان قضية التلاحم المجتمعي وإشاعة ثقافة المجتمع الواحد المتماسك والإحسان إلى الغير مهما كان مسلماً أو غير مسلم ، ونهى عن الإفساد في الأرض أياً كان ظاهراً أو غير ظاهر، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

فمن ذلك ما ورد في صحيح البخاري: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي "نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَذَمُّهُ وَهُوَ يَمْسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(162). وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذى من قومه كما أودى الأنبياء من قبله ومع ذلك فقد كانوا يعفون عن أقوامهم ويصفحون عنهم ويجعلون لهم العذر بقول

(162) حديث مرفوع: ح(3290).



أحدهم: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). وهذه الصورة تعكس غاية التسامح والصبر على أذى الآخرين. كما أنها تعكس الهوية الراسخة لدى الأنبياء أنهم جميعاً يستقون أخلاقهم من مصدر سماوي واحد.

ومن هنا يمكن الوقوف على جملة مما تحققه لنا القيم الانسانية من الملامح الرئيسة التي أرادها ديننا الحنيف فنقف على المنظومات القيمية الآتية:

### أولاً: منظومة القيم الأخلاقية والهوية الوطنية المجتمعية:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 59] .. صفة سلبية واحدة في القائد كفيلة بتمزيق المجموعة<sup>(163)</sup> وتفكيكها هي أن يكون (فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) والدعوة القرآنية هنا إلى معكوسها تماماً فقال: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ). وجاء في حديث النبي ﷺ: (قوله: "رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ ، وَسَمَحًا إِذَا اشْتَرَى ، وَسَمَحًا إِذَا قَضَى ، وَسَمَحًا إِذَا اقْتَضَى"<sup>(164)</sup>). والحديث محوره التسامح فهو يؤكد على ديمومة هذه الصفة لدى العناصر الايجابية في المجتمع ، هذه الصفة تكشف عن جانب عظيم من جوانب هوية هذا الانسان، الهوية الصادقة التي تؤسس لمواطنة صالحة من خلال الأخلاق الحميدة ونشرها في المجتمع عبر التطبيق الفعلي في كل أمور الحياة من بيع وشراء وتفاض وغيرها. هذه الأخلاق تحقق الانسجام بين النسيج المجتمعي وتوفق بينهم وتمحو حالات الخشونة وتجعل الملمس الناعم واضحاً فيكون نتاجه الرحمة والمودة والتعاون، فترتقي بالمجتمع إلى غاية عظيمة. هذه الأخلاق تحتاج إليها المجتمعات كلها في أحوالها الطبيعية؛ غير أنها أكثر حاجة إليها

(163) ونعني بالمجموعة الفريق الفاعل ضمن مؤسسة أو مشروع أو غيرها..

(164) حديث مرفوع: ح(47). (أنا أَبُو سَهْلٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الْأَزْرَقِيُّ ، ثنا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَأْدِيُّ ، ثنا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ الزُّهْرِيَّ يُخْبِرُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ).



عندما تكون في ظروف خاصة واستثنائية ؛ ولعل ظروف الدول العربية التي تعرضت لمؤامرات الاحتلال والتفكيك المجتمعي هي أولى تلك المجتمعات بالعودة إلى خلق التسامح وفضيلة الرحمة.

وقد ورد خلق التسامح في القرآن الكريم والدعوة إليه بمفهوم الصفح والعفو فمن ذلك قوله تعالى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى) [البقرة: 237]، (وَأِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التغابن: 14]، (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: 134]، (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف: 199]، (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) [الحجر: 58]، (وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) [النور: 22]، (وَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [الشورى: 43]. هذه الآيات كفيلاً حقاً لتأسيس مشروع التسامح بين أفراد المجتمع أنفسهم، وهوية وطنية متكاملة تضمن العلاقات المنسجمة بين أفراد الوطن الواحد مهما اختلفت الآراء والأفكار والتوجهات، فتجعل منه دستوراً كاملاً لأسلوب التسامح المجتمعي. وأخيراً نقول: هل يمكن أن يكون التسامح محور الوحدة المجتمعية؟ .. سؤال في غاية الأهمية يحتاج إلى تفعيل قضية الدور الإرشادي لدى طبقة المثقفين كل حسب وجوده وتخصصه والمساحة المجتمعية المتاحة له.

## ثانياً: منظومة التعايش السلمي بين الأديان والقوميات والثقافات:

قد تكون بعض المدن العربية أنموذجاً جيداً لموزاييك التنوع العرقي، ولعل هذا التنوع يمكن أن يكون أسلوباً داعماً لتنشيط مبادئ التعايش وبالتالي تدعيم الهوية الوطنية وترسخها وتثبيتها الدعوة إلى إعادة وتفعيل قيم التعايش الوطني والعمل بها والتسامح بين أفراد الوطن الواحد ، وقيم التسامح واضحة في العفو والصفح والثبات على القيم الانسانية مع الأديان والثقافات المختلفة.

وقد حث ديننا على نبد العنف المجتمعي أو ما يؤدي إليه قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18]. والصَّعْرُ عند الراغب هو ميل



إلى العنف وهو ما ينهى عنه الشارع الحكيم ؛ إذ إنّ أساس العلاقة بين الناس تقوم على المحبة الانسانية التي تقتضي التعايش بانسجام لتحقيق طمأنينة العيش واستقراره(165).

### قيمة التسامح:

مجتمعاتنا اليوم أحوج ما تكون إلى التسامح والتجاوز عن أخطاء الآخرين من أفراد المجتمع نفسه، وقد تحمّل المواطن في المجتمعات العربية ما تحمّل وصبر في أصعب وأحلك الظروف؛ لأن وراء ذلك هدف أعلى وأسمى هو بناء الدولة والمواطنة، ولعل من صور التسامح الموجودة في المجتمع ما يأتي:

**التجاوز عن أخطاء الآخرين:** قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109].

فقد شرّع العفو والصفح عمّن يسيء إلينا ومن يعيشون معنا في مجتمع واحد بل حث ديننا -وهكذا حال الأديان السماوية كلها- على تجاوز أخطاء الآخرين ؛ حتى وإن كانت تلك التجاوزات عقائدية فإن العفو والصفح هو ما أمر به الله تعالى. وما ذاك إلا ليعلم الناس من غير المسلمين أن الإسلام دين الحق ودين التجاوز والمسامحة جاء لإقامة حضارة ، وهو الدين القادر بحسب ما يدعو إليه من الأخلاق المجتمعية الفاضلة على أن يقيم دولة المواطنة ويعكس الهوية الأخلاقية السامية لذلك المجتمع. ولعلنا في هذه المرحلة أكثر حاجة إلى حُلُق التجاوز عن المسيء، فهذا الخلق سيؤسس البنية المجتمعية التي تؤهلهم إلى مشروع المواطنة الصالحة وما يؤديه ذلك من مصلحة في استقرار البلاد والأمن والانسان.

**الصبر وتحمل أذى الآخرين:** يمكن اعتبار خلق الصبر وتحمل أذى الآخرين في ظروف الأزمة من أهم

(165) ينظر: دلالة النص القرآني في القيم الأخلاقية وأثره في تعزيز روابط الوحدة بين المسلمين ، د.نضال حنش شبار ، مجلة جامعة تكريت، جامعة تكريت ، الاصدار 12 ، الصفحات: 328-359 ، العراق ، 2012م ، ص 338.



قواعد التسامح وقوانينه فقانون اللاعنف هو أحد القوانين التي لها دور كبير في وحدة المجتمع وتقوية الأواصر المجتمعية ونجاحهم في مختلف الميادين ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]. فهي دعوة للرسول ﷺ ومن بعده لأمته أن يعرض عمّن يسيء إليه ، وأن يتحمل ما يتلقى منهم بالقول الجميل والخلق الحسن والعفو والصّفْح<sup>(166)</sup>. لأنهم كانوا يعيشون مرحلة بناء أمة ودولة ومعالجات لأخطاء مجتمعية متعددة ، وما أشبه ذلك وأقربه إلى حالة الأزمة التي تمر بها مدينتنا إلى الاقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بمبادئ ديننا الحنيف.

ولن نجد نظاماً شارك الأنظمة الأخرى ومازجها كما نجد ذلك في النظام الأخلاقي في الإسلام وهذا له أهمية كبيرة؛ إذ إننا لو أبعدنا الأخلاق عن الأنظمة الأخرى لتحول المجتمع إلى مجتمع منزوع الرحمة يسودهم القانون والحكم والعقوبات، لا التراحم والمودة والألفة بين الناس، فمتى ما أمن الناس العقوبة والقانون تحول المجتمع إلى مجتمع غاب يأكل القوي منهم الضعيف<sup>(167)</sup>. بدليل قول رسول الله ﷺ: (أيها الناس إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليدعها).

#### ثانياً: المرتكز الثاني للمشروع النهضوي (خارجي):

يستدعي الحفاظ على هوية أمة وقفات تلو وقفات وإجراءات تأتي على مراحل عدّة ومدروسة، ومشاريع كثيرة تعمل على المستويات كلها، وللوقوف على الوسائل المتاحة للحفاظ على الهوية الوطنية نجد أنها

(166) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (544-604هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج 27 ، ص 235.  
(167) ينظر: منهج القرآن الكريم في تثبيت الأخلاق الإسلامية ، أ.م.د. أنس عصام الزبيدي ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، السنة 2014م، الجزء الأول، الاصدار: 28 ، الصفحات: 197-215 ، ص 202.



تقسم الى منهجين يمكن أن يُنتَهَجَا، ولكل منهج منهما طريقته، ومفرداته، ووسائله التي تتكامل وتتداخل مع المنهج الآخر، وهذان المنهجان هما (168):

## 1- منهج التحصين والدفاع:

والمراد به رد المحاولات التي تسعى لطمس معالم الهوية الوطنية من خلال تشويهها، وتغيير معالمها، فيلبس الأمر فيها على ابناء هذه الهوية، أو من خلال حماية المجتمع من الغزو الثقافي، الذي هو في حقيقتها: أعتصاب ثقافي، وعدوان فكري، كامن في جملة من التحولات الفكرية التي تؤثر سلباً على الهوية ؛ فهي جملة من أفكار متنوعة تدخل في قناعات الأفراد تسبب بمجموعها ضعف الهوية أو فقدانها ، أو إحلال ثقافة مكان أخرى.

وبذلك نحتاج لحماية مرتكزات الهوية إلى: أن يكون لدينا الوعي الكافي لادارة منهجية متزنة. ولدينا المعرفة الفكرية التي تميز بين الحق والباطل والايجاب والسلب. كما أن المقدرة على الانتقاء الفكري واختيار المناسب من الجديد بما لا يؤثر على أصول الهوية.. ولعل من أهم الوسائل التي يجب أتباعها في هذا المنهج ما يأتي:

### أولاً: مشاريع دعم التراث:

#### أ: مشروع كتابة (موسوعة اعلام المدينة):

هدف المشروع: إعادة ذاكرة المواطن واستحضار الماضي وأصالة المدينة واستدكار رجالها وآثارهم والحفاظ على تراث المدينة . إن في إعادة استدكار شخصياتها أثر مهم في تفعيل الهمة عند المواطن وتنشيط الانتماء إلى مدينته وتحفيز قضية الهوية لديه.

(168) ينظر: الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د. عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول، الاصدار 28 ، العراق ، 2014 ، الصفحات: 37-64 ، ص 51.



آلية المشروع: التواصل مع المواطنين في كل وسائل التواصل والاعلام ؛ ومع المؤسسات الثقافية والتعليمية لإعداد موسوعة صادقة واعية تجمع المعلومات الدقيقة.

### ب: مشاريع مكافحة الغزو الفكري والثقافي:

الذي يسعى لسلب هوية الأمة، وطمسها، ومن أمثلة الاجراءات التي تحمي المجتمع من التطرف الفكري: (مكافحة أفكار التطرف الديني والعرقي، ومكافحة أفكار الإلحاد، ومكافحة المخدرات والخمور، ونشر معاني الوسطية والاعتدال، ومكافحة الفكر الخرافي، ومكافحة الجهل والسطحية). فالأمم التي تريد أن تبقى وترقى فعليها أن تحافظ على هويتها، فتبذل كل ما من شأنه تحقيق ذلك، حتى لو اضطرت الى استخدام المنع المادي من غزو الثقافات الأخرى، في أطر محددة ومنضبطة، بحيث لا تحدث في الواقع مشكلة أخرى، وهي الأنغلاق على الذات<sup>(169)</sup>. بيد أننا هنا نرفض الرؤية النابعة من التطرف والتشدد كالذي تلجأ إليه بعض الديانات كالهندوسية وما شابهها وهي تفرض هويتها على المجتمع بالقوة؛ إذ نجد الهندوس في الهند مثلاً، يمنعون بيع الزهور في يوم عيد الحب (فالتناين)، ويحرقون المحلات التي تباعه، لأن ذلك ليس من الهندوسية، ويحارب الثقافة الهندية<sup>(170)</sup>. أو ما قام به الغزو (الداعشي) بكل استبداد وتطرف في بعض المدن العراقية والسورية، فارضين على أهل المدينة نسقاً متطرفاً غريباً نشازاً عن دين ديننا الحنيف وسماحته؛ إذ كانت (داعش) سبباً في تشويه قيم العدل والتسامح والاحسان التي جاء بها ديننا الحنيف ؛ فكانت سبباً مباشراً في تنشيط دعاوى الإلحاد والانسلاخ عن الدين.

وهناك من يرى أن "هذه الخطوة مهمة للغاية في توفير الحماية للمجتمع، والأمة من الغزو الثقافي، وقد لا تكون هي الخطوة الأولى، لكنها مهمة في مجال الحماية والدفاع عن الهوية الذاتية، ولا سيما مع فئات من أبناء المجتمع لا بد لهم من هذه الطريقة، وهم العوام الذين لا يملكون معرفة بهويتهم، مما يجعل

(169) ينظر: صراع الهويات ، وخصائص الهوية الإسلامية ، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام وب) .

(170) ينظر: م.ن.



أحرفهم عنها مؤكدا اذا ما تعرضوا لشيء، ولو قليل من الغزو الثقافي"<sup>(171)</sup>.

ولعل هذه الخطوة مسؤول عنها المؤسسات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني ؛ يعملون جميعاً بحسب بنود متفق عليها في تطبيق المشاريع. هنا يمكن ذكر مجموعة من هذه المؤسسات الفاعلة في هذا الميدان:

1. المؤسسات التعليمية الجامعات والمعاهد.
2. المؤسسات التربوية المدارس وإدارات التربية.
3. مؤسسات المجتمع المدني كرابطة التدريسيين الجامعيين ورابطة الطلبة والشباب ورابطة المرأة العراقية وغيرها.
4. المؤسسات النقابية كنقابة الأكاديميين والمعلمين وغيرها.

ومن المهم هنا أيضاً التأكيد على التفريق بين الأنغلاق التام، والأنكفاء على الذات، وبين الأفادة من الثقافات الأخرى بأخذ النافع فيها، وتجنب الضار، وكذا التفريق بين المعارف العامة، والثقافة المتعلقة بهوية الأمة، والمنعكسة على سلوك افرادها، وبين العلوم التطبيقية الدنيوية التي تعد تجارب بشرية، وخبرات إنسانية، ترك الله للبشر تنميتها، والترقي فيها، بخلاف الهداية الإلهية في العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والحكم، فهي من الله وحده<sup>(172)</sup>. ولا شك إن إدراك هذا سيفيد في أن تظل هويتنا الثقافية قوية لا تؤثر فيها أية مؤثرات خارجية، طالما نحن نمتلك المنهجية المتميزة المتزنة، والعقول القادرة الواعدة التي تستطيع أن تحتك بالثقافات الأخرى، وتفتح عليها لتنهل من منابعها الصافية، ولا تقترب من مياهاها العكرة<sup>(173)</sup>.

---

(171) ينظر: الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د. عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول، الاصدار 28 ، العراق ، 2014 ، الصفحات: 37-64 ، ص 51.

(172) ينظر: معالم الشخصية الإسلامية ، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط7 ، 1421هـ-2000م، عمان (الأردن) ، ص 27-28.

(173) ينظر: المنهج التربوي العالمي ، مجدي عزيز ابراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2001م ، القاهرة (مصر)، ص23.



ج: تقديم رؤى نقدية للأفكار والنظريات الهدامة المطروحة في الواقع الثقافي: وحل الأشكالات الفكرية التي يثيرها خصوم الهوية الوطنية ويكون ذلك بأساليب علمية وسهلة يفهمها الجميع. ولا بد -هنا- من التأكيد على أن الطرح والمعالجة لا بد أن تكون منطقية، وواعية، تتميز بأنها علمية مشتملة على البراهين الصحيحة القيمة، والحجج الواضحة البينة<sup>(174)</sup>. يكون ذلك من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية والإعلامية، واستثمار كافة الطاقات المتاحة.

ثانياً: مشروع إعادة التعريف بديننا الحنيف والتركيز على قيم السماحة والاعتدال:

تقديم الهوية الإسلامية للآخرين، والتعريف بها على حقيقتها، فلعلنا نكون أحياناً محتاجين إلى إعادة التعريف بدين الإسلام، والتركيز على اعتداله وسماحته، ولا يخفى ما أصاب الأمة الإسلامية من التشويش الذي قدّمه أعداء الأمة من قضايا الارهاب والافساد، وأن لا ينتظر حتى يقدمها أعداؤها بشكل مزر، وضعيف فيه من الخلل والخطأ أكثر مما فيه من الصواب، فهذا أهم وسائل حمايتها، والدفاع عنها، إذ أن التعريف بهذه الهوية يقطع الطريق على الطاعنين بها، المحاولين تشويه صورتها، وهذا -بلا شك- أنفع، وأجدى من الأنغلاق على الذات، لأنه لا ينكأ العدو، ولا يقتل الصيد، ولأجل ذلك ذهب البعض الى أن الدفاع يكون بتقديم مضامين الهوية الإسلامية بصورة جيدة، مستصحبين في ذلك أموراً<sup>(175)</sup>:

أ. لا بد من الأعتزاز بهويتنا الإسلامية، ووجود قناعة كاملة بأننا من خلال الهوية الإسلامية نمتلك أدوات الحضارة بكل أوجهها.

ب. مخاطبة الناس على قدر اهتماماتهم، وبما يعرفون، وليس المراد هنا المضمون فقط، بل الأسلوب أيضاً، وهذا ما أشرنا إليه، فنحن نحتاج إلى أن يرانا الآخرون بصورة حسنة، جيدة، فلا يكفي أن يكون الحق

(174) ينظر: الهوية بين الجوهري والمضاد، علي عقله العرسان، منشور في صحيفة الوطن العمانية في 15/6/2002م.

(175) ينظر: الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د. عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول، الاصدار 28، العراق، 2014، الصفحات: 37-64، ص 53-54.



معك ليقبل بك الآخرون، بل لا بد تقديم الحق لهم بطريقة حسنة، قال ربنا: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

ج. لا بد أن ننظر إلى الثقافات الأخرى بما تستحقه، وهنا ينبغي التأكيد على أن الانبهار بالغرب، والأنحذاب غير العادي إليه، مما لا يسهم في تحقيق هذه الوسيلة لحماية هويتنا، ولا بد من القضاء على أسطورة الثقافة العالمية، فكل ثقافة مهما أذعت أهما عالمية تحت تأثير أجهزة العالم، فإنها نشأت في بيئة محددة، في عصر تاريخي معين، ثم أنتشرت خارج حدودها<sup>(176)</sup>، وأن العبرة ليست بالقوى المادية الموازية، ولا بالانتشار الواسع، بل بالمضامين التي تعطي الثقافة قيمتها، ومكانتها. فهناك كتاب مهم بعنوان: (الغرب نحو الدرب) للكاتب محفوظ العباسي قدم فيه إحصائية مهمة لأقوال علماء غربيين وأنحذابهم نحو الإسلام لما وجدوا فيه من الحق والصدق والعلم والارتباط بخالق الكون. بل إن كثيراً من علماء الغرب دخلوا الإسلام لقناعتهم بالمصدر الإلهي لهذا الكتاب المبين وما وجدوه فيه من قيم الصلاح والخير والانسانية والرحمة والعلم والقدرة على بناء حضارة عالمية يعيش فيها الناس جميعاً متساوين متراحمين في مملكة بشرية متنوعة عادلة.

ولعل مفهوماً مهماً يحتاجه القائمون على الإصلاح في المجتمع مفاده إيصال فكرة ضرورة المشاركة في الإصلاح المجتمعي؛ ويعد ذلك من قبيل المسؤولية الاجتماعية؛ إذ إن الخصوصية، أو الهوية الذاتية المستقلة لا تعني بحال من الأحوال العزلة، والأنكفاء على الذات، بل تعني التعاطي مع الآخرين لإيصال الخير إليهم، والإفادة مما لديهم من خير، وتميز، وبهذا يتم امتزاج الخير، والتعاطي المفيد بين البشر<sup>(177)</sup>.

## 2- منهج البناء والتأسيس:

تقديم مشروع ميثاق مطابق لما قدمه رسول الله ﷺ في وثيقة المدينة.. يذكر كافة الطوائف

(176) ينظر: الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، حسن حنفي، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، 1998م، عمان (الأردن)، 36-38.

(177) ينظر: المنهج التربوي العالمي، مجدي عزيز ابراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، 2001م، القاهرة (مصر)، ص 25.



والقوميات التي تعيش في المدينة تتقاسم في هذه الوثيقة الأدوار في الحفاظ على المدينة وأهلها والاسهام في بناء الفرد والمجتمع.

ويراد بالبناء بناء النفس، وترسيخ قيم الهوية فيها، ومن ثم بناء المجتمع وتحصين النسيج المجتمعي، ولا شك أن هذه الوسيلة تعد الوسيلة الأهم لزرع مضامين الهوية في نفوس أبنائها، وبناء التصورات المتعلقة بالكون، والأنسان، والحياة وفق تلك الهوية، ومن المؤكد اننا اليوم بأمس الحاجة الى بناء الشخصية الايجابية من جديد وإعادة صياغة العقل المسلم، معتمدين في ذلك على المصادر الثابتة، والمقومات الراسخة للهوية الإسلامية<sup>(178)</sup>، تينهض بذلك مؤسسات المجتمع الحكومية والمدنية، وتتحمل كل منها دورها المنوط بها في ذلك، فالأسرة لها دورها الأول في وقت متقدم، ثم المراكز التربوية، والتعليمية، والثقافية بمختلف أشكالها، وأنواعها، وبمختلف الأنشطة والأدوار التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية، وترسيخ الهوية فيها، معتمدين في ذلك على المقومات الثابتة للهوية الوطنية، ولعل من ابرز الوسائل في ذلك ما يأتي:

أ/ أن تنهض الأسرة بدورها الحقيقي في التربية، وغرس قيم الهوية في ذات الفرد ولعل أهمها الأخلاق الحميدة التي تجتمع عليها المجتمعات الانسانية كلها، فالأب والأم وذوو القربى هم المصادر الأساسية للتربية والمعرفة. والمجتمع الذي يمتلك الأخلاق الحميدة يكون مؤهلاً لإقامة حضارة. تلك التربية التي يجب أن تسعى إلى صياغة الفرد صياغة مواطنة، وتعدّه إعداداً كاملاً من أجل النهوض بواقع مدينته وأمته؛ فيكون ذلك سبباً رئيساً في إقامة جيل يعتز بانتمائه لوطنه وأمته.

لقد عني ديننا بغرس قيم الهوية في نفوسنا، وعمل على تفعيل دور الأسرة في ذلك، فأمر الأولياء بالمتابعة والأشراف على الالتزام بتلك التكاليف التي يسهم الالتزام بها في أن يجعل انطلاق الشباب في الحياة متمسماً بالمسؤولية، وجعل قيم المواطنة لا تنفصل عن قيم التدين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من سنّ سنة المواطنة وجعلها واحدة من قيم الدين الحنيف وبناء الدولة في الوقت نفسه.

(178) ينظر: معالم الشخصية الإسلامية، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط7، 1421هـ-2000م، عمان (الأردن)، ص 14.



ب/ تنشيط وتحديد مفهوم الشخصية المعتدلة ، وهذا من أهم ما يسهم في الحفاظ على الهوية الوسطية المعتدلة؛ فهي الوسيلة الضامنة لرسوخ الفكرة وانتشارها من شخص لأخر، ومن جيل لأخر، ومن مجتمع لأخر، فتمتد امتداد الزمان، وتنتشر إنتشار البشر مما يورث لها رسوخا وبقاء<sup>(179)</sup>، ولأهمية الأمر لم يجعل الإسلام هذا واجب فرد، أو فئة في المجتمع المسلم، بل هو واجب على جميع أبناء الأمة رجالا، ونساء<sup>(180)</sup>، قال رسول الله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية). ولعل هذه الوسيلة تساهم كذلك في تصويب الانحرافات التي يقع فيها بعض المنتمين للهوية الإسلامية، بحيث يحقق الانتماء بشكل صحيح.

ج/ العناية بالتعليم<sup>(181)</sup> ، فللتعليم مداخلة الخاصة إلى الهوية وترسيخها ؛ لاسيما أننا نقصد بالتعليم المرحلة الجامعية؛ وهي مرحلة القنوات الفكرية والرؤى والتطلعات ، كل ذلك كائن في خضم المعاناة التي تمر بها أمتنا والإحباط الكبير الذي أحاط بالأمة. إذا كان تعزيز الهوية الثقافية هو مهمّة مؤسسات وقطاعات متعدّدة، فإنّ هناك قطاعات بعينها لها دور أكبر، وفي مقدّمة هذه القطاعات قطاع التعليم، المنوط به تربية النشء، وغرس القيم في عقولهم وقلوبهم منذ سنواتهم الأولى، ودعم قيم الولاء والانتماء، والتأكيد على الثوابت، وتعزيز الهوية الثقافية، وترسيخ ثوابتها ودعائمها الأساسية.

د/ التثقيف الذاتي بما يسهم في ارتباط المسلم بهويته الوطنية ، وهذا مسؤولية الفرد نفسه والمؤسسات الحكومية والمجتمعية والنقابية وغيرها، وهذا يستدعي الوعي ، إذ عليه أن يخصص وقتا ليحصل من الثقافة، والفكر ما يربطه بهويته، فتبنى الشخصية المعتدلة الملتزمة فكراً، وعملاً، وسلوكاً.

(179) ينظر: معالم الشخصية الإسلامية: 29-30.

(180) ينظر: الدعوة إلى الإسلام، طالب ألب: 296 ، وهو منشور ضمن (الدعوة الإسلامية أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في كينيا، سنة 1402هـ) .

(181) أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، بدر بن ناصر البدر، مجلة الجندي المسلم، العدد (115)، سنة 2004م.



مشروع المؤسسة التربوية في الحفاظ على هوية الاعتدال:

دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والإسلامية المعتدلة :

من المعلوم أننا نعيش عصراً تحولت فيه الأرض إلى قرية صغيرة يتواصل فيها العالم بأسره في بؤرة من التكنولوجيا البيتية التي أصبحت في متناول الجميع.. من هنا فإن من الضروري على المؤسسة التربوية الانطلاق من هذه البؤرة التكنولوجية وصيانة مشاريعها وفق إمكانيات التكنولوجيا الحديثة التي هي في متناول أبنائنا أطفالاً ويافعين وشباباً لتصبح محط اهتمامهم وتكون قادرة على استقطاب نشاطاتهم وتفصيل دورهم ضمن المؤسسة التربوية العالمية لتكون بعد ذلك قادرة على صياغة المشروع النهضوي فالتخطيط لترسيخ قيم المواطنة الصحيحة في نفوس أبنائنا. ومن هنا يجب على مؤسساتنا التربوية السعي لترسيخ قيم الهوية بثوابتها ومكوناتها وأبعادها المختلفة، وتحسينها قيمياً والتأكيد على تعزيز التفاعل الإيجابي مع معطيات الثقافات الأخرى بما يمنحها مكانة ونشاطاً بين الثقافات والأمم؛ بحيث يقوم هذا التفاعل على الندية والتأثير المتبادل، والإفادة من عناصر التميز في ثقافة الآخر دون انبهارٍ أو ذوبان.

ولعلنا نقدّم هنا إستراتيجية تربوية لتعزيز الهوية الثقافية والاجتماعية في مواجهة التحديات الثقافية،

تقوم على مجموعة من الخطوات، هي كالآتي:

أ - تعزيز البناء القيمي للفرد: هذا العنوان بحد ذاته يتضمن جملة من المشاريع وسلسلة من الإجراءات التي يجب تبنيها من قبل مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني لتعزيز البناء الديني والقيمي للفرد. فيمكنها المشاركة في المشهد النهضوي العالمي المعاصر مستصحبين مع تلك المشاركة تلك القيم البناءة التي تعزز مكانتنا بين الأفراد والأمم.

ب - الاعتقاد بأهمية التواصل الحضاري: وهو يعني القدرة على التعامل بإيجابية مع التعددية الفكرية والثقافية والعرقية والسياسية والاقتصادية بما يضمن رسوخ الهوية الثقافية ورسالتها؛ وذلك لأن التعددية مبدأ تربوي إسلامي؛ بل هو سنة من سنن الله في خلقه؛ ولذلك فإن تربية الفرد في ضوء هذه التعددية يمكن



أن تنمّي فيه روح التسامح ورفض التعصّب، واحترام الآخر وقبول الاختلاف مع الغير. وكان لنا في هذا المجال أسوة عظيمة برسول الله ﷺ؛ حينما أسس دولة الإسلام على التعددية، وجعل من كافة أهل المدينة مواطنين صالحين وإن لم يؤمنوا بدين الإسلام؛ وإن كانوا يهوداً أو حتى مشركين، فكان مبدأ المواطنة واضح فيها.

**ج - أهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة:** لا بدّ أن يكون هناك تواصل بين التراث وثقافة المجتمع المعاصرة، وفق عملية انتقاء دقيقة؛ بحيث يكون هذا التراث معيناً في بناء الحاضر ورسم صورة المستقبل، مع ضرورة تشبّع التعليم بمقومات ثقافة المجتمع وشخصيته، وفي الوقت نفسه جعل هذا التراث عاملاً مساعداً على تحديد اتجاه التطور الذي ننشده، ودعمه قوّة هويّتنا الثقافيّة. يتضمن هذا الجمع بين الأصالة والمعاصرة الوقوف على مشاريع تراثية مهمة في تثبيت وترسيخ قيم الهوية منها: علماء المدينة وكفاءاتها ومثقفوها وشهداؤها؛ وبالتالي فإننا سنقف على ترسيخ الحركة الدائمة في الحضارة والتراث للمدينة.

**د - بثّ روح العلم والإبداع:** تنشيط مفاهيم الإبداع ودواعيه وأهمية العلم والمعرفة عند الجيل الصاعد، وترسيخ أنّ من سيمتلك المعرفة هو الذي سيتحكّم في العالم ومصيره، وبالتالي فلا سبيل لسدّ الفجوة الحضاريّة بيننا وبين الغرب إلّا بالتفوق العلمي والتقني، ودعم الإبداع والمبدعين؛ فتكون هذه القيم والمفاهيم هي منطلقنا الأساس الذي تتكوّن من خلاله وفي إطاره سائر الغايات التربويّة، التي يجب أن تنتظم عمل التربية، إذا ما أردنا الحفاظ على هويّتنا الثقافيّة حيّة وفاعلة.

**هـ - النهوض باللغة العربيّة:** اللغة هي أداة التعلّم والتفكير والاتصال الاجتماعي، كما أنّها تمثّل ذاكرة الأمة وأبرز مظاهر ثقافتها؛ لذلك فإنّ أزمة اللّغة العربيّة الرّاهنة هي أزمة هويّة وثقافيّة في الوقت ذاته؛ فكان لا بدّ من الاهتمام باللّغة العربيّة والنهوض بها، ومن متطلّبات ذلك توجيه المعلّمين لأهميّة الحديث والتدريس باللّغة العربيّة الفصحى وجعل ذلك شرطاً مهماً من شروط الانتساب في المؤسسات التربوية، وتعويد تلاميذهم على التحدّث بها، مع تبصيرهم بأخطائهم في أعمالهم التحريريّة ومتابعة التصويب لهم، فالمعركة الحقيقيّة لا تكمن في مواجهة تعليم اللّغات الأجنبيّة، بل ينبغي أن تكون تلك المعركة ضدّ العوامل التي



تُضعف من شأن اللُّغة القوميَّة، وليس هذا معناه تجاهل اللُّغات الأجنبيَّة أو مقاومة تعليمها، ولكن يكون تعلُّم الفرد للغةٍ أجنبيَّة بعد تمكُّنه من لغته القوميَّة.



## المبحث الثاني

### مجموعة مشاريع هضوية منوعة

أولاً: إعادة هيكلة المساجد (الأئمة والخطباء) :

وتعد هذه خطوة رائدة ومؤثرة في اعتماد الكفاءة العلمية الواعية بالنسبة للخطباء والتركيز على الجانب الفكري من خلال اختبارات متتالية إذ يمكن أن يقدم الخطيب لكي يكون مؤهلاً للخطابة أن يقدم أفكاراً لمشروع حضاري يخدم المدينة في مؤلف أو بحث؛ منطلقاً من الواقع متجاوزاً الأزمات والمعوقات؛ وقد تسهم هذه المشاريع في معالجة بعض القضايا والمشاكل وتقييم هذه البحوث والكتب المنجزة من خلال لجان أكاديمية من كلية الأمام الأعظم أو من جامعات أكاديمية أخرى. أو من المجمع الفقهي العراقي أو غيرها.

ثانياً: الإعلام التربوي في ترسيخ القيم والهوية:

ويتضمن تفعيل كافة وسائل الإعلام باعتماد اسلوب المعلومات التي تعرض لحظياً

- 1- ضرورة تناول قضايا تعالج مشكلات الشباب اليومية فكرياً وعلمياً واقتصادياً وتنموياً ودينيّاً وغيرها .. ومتابعة ما يطرحه الشباب في وسائل التواصل المجتمعي ومن ثم دراستها وتقديم الحلول لها .
- 2- تنشيط العمل على الفيسبوك في نشر جمل وعبارات قصيرة تخدم قضية المشروع .
- 3- تنشيط العمل على الواتساب والفايبر ومحاولة التواصل مع كافة فئات المجتمع في نشر تلك الرسائل القصيرة نفسها .
- 4- تشكل لجنة إعلامية تربوية مرتبطة بمجالس المحافظات والوزارات ذات العلاقة برئاسة الوزراء للمتابعة وانتقاء المواضيع ولجنة لكتابة الرسائل ولجنة لتوزيعها على الفيسبوك والواتساب والفايبر والتلكرام وغيرها .



- 5- الاهتمام بقضايا المواطنة والانتماء والولاء للوطن باعتبار أن ذلك ما دعى إليه الدين الإسلامي ..  
وتقديم الصور النهضوية الحضارية التي عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام ..  
وإبراز دور المسلمين في تطوير العلوم على مر العصور .
- 6- طرح موضوعات للحوار في الإذاعة والتلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي مثل قضايا المواطنة كونها قضية من الدين.

### ثالثاً: برنامج الكفاءة للتعين في دوائر الدولة :

فدوائر الدولة كافة مع ما فيها من ترهل الكوادر إلا أن فيها من الوقت ذاته شحة في الكفاءات والقدرات الفعالة والفئات الحاملة لقضية البلد وهمه .. لذا يجب بناء برنامج للتعين في دوائر الدولة قائم على أساس اختيار النماذج التي تحمل أفكاراً وإرادات نادرة ومميزة لبناء البلد وحماية المجتمع وخدمته .. والايمان بالمسؤولية الاجتماعية وإلخ ..

تأتي فكرة هذا البرنامج في ضرورة إجراء إعادة صياغة لعقول الشباب وأفكارهم بحسب النظرية النبوية في أسلوب (التحويلات الفكرية) ؛ إذ يمكن صياغة العقول الشابة في برامج ودورات وأكاديميات تجعل من المواطنة محوراً رئيساً في قضيتها .. يكلف في ذلك جملة من المفكرين والعلماء والاكاديميين باعتماد منهج ثابت يتضمن القيم والاعتدال والحضارة والانسانية والمواطنة والولاء والانتماء وغيرها من المفاهيم الضرورية لإعادة صياغة ..

### رابعاً: تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وتوحيد جهودها:

هذه المؤسسات تؤدي عملها تجاه كافة القنوات المجتمعية؛ لذا فإن تفعيل هذه المؤسسات في الوقت الحاضر كمجموعة مؤسسات مجتمع مدني تعمل ضمن خطة موحدة ومشروع واضح وثابت ومشارك؛ لها أهمية كبرى تكمن في:

1. توحيد الجهود في تحقيق أهداف ثابتة منها إشاعة روح المواطنة والانتماء والولاء للمدينة .



2. توحيد الجهود في تحقيق أهداف مرسومة سريعة ومشتركة لكافة المؤسسات بحسب الممكن .
3. تيسير قضية الدعم المالي بين المؤسسات .
4. الاستفادة من إمكانيات المؤسسات بعضها من بعض في تفعيل مشاريعها .
5. الوقوف على مشاريع مشتركة تقدم الى المؤسسات الحكومية .
6. إقامة مؤتمرات وندوات مكثفة .
7. توحيد الجهد الاعلامي لها .

على أن تتبنى هذه الخطوة الجهات المسؤولة في المحافظة فتشترط على مؤسسات المجتمع المدني العمل ضمن محور المواطنة وبناء الدولة ومتابعة ذلك من خلال أعضاء مجلس المحافظة كونه واحداً من مهامهم واهتماماتهم.

#### خامساً: اعتماد آلية استنساخ بعض المشاريع الناجحة على العديد من المؤسسات:

ويكون ذلك ضمن العقلية الموحدة للدولة ومحورية الهدف والغرض وهذا المشروع يعطي قوة وريانة للمسؤولين والمدراء. ونعني آلية استنساخ بعض المشاريع على العديد من المؤسسات تقديم مشروع معين لمؤسسة معينة ؛ ومن ثم إعادة وتكرار المشروع في مؤسسات أخرى مع إجراء التعديلات اللازمة بحسب خصوصية المؤسسات ؛ ولعل من أمثلة ذلك ؛ ما يمكن أن تتبناه رابطة التدريسيين الجامعيين<sup>(182)</sup> اليوم من دعم لأبناء الأساتذة الجامعيين وتطوير قدراتهم وقابلياتهم الشخصية والعلمية من خلال إجراء دورات تطويرية لكافة المستويات العمرية. هذا المشروع نفسه يمكن استنساخه في تطوير أبناء المدرسين والمعلمين فيمكن تبني المشروع نفسه من قبل رابطة المعلمين أو نقابة المعلمين بالتعاون مع مؤسسات تدريبية.

ويمكن استنساخ المشروع نفسه على مؤسسات عدة كرابطة المعلمين ورابطة الطلبة والشباب وغيرها ؛ لما في ذلك من فوائد وإيجابيات في استنساخ المشاريع على مؤسسات المجتمع المتنوعة ؛ إذ تتوحد

---

(182) هي رابطة تعنى بشؤون الأساتذة الجامعيين في الجامعات والمعاهد وتدافع عن حقوقهم ووتحتم بتطويرهم وتطوير أسرهم، قامت بمشاريع عدة خلال فترة تحرير محافظة نينوى بما يخدم تنشيط وتفعيل قيمة المواطنة.



الأفكار والجهود على شريحة معينة من المجتمع. ومحاولة الوصول إلى كافة شرائح المجتمع من طرق متعددة ، فيكون من فوائد وإيجابيات اعتماد آلية استنساخ المشروع الواحد على مؤسسات عديدة هو تركيز أفكار محددة وجهود موحدة على شريحة مجتمعية معينة. مع ملاحظة ضرورة تطوير المشاريع المستنسخة بشكل مستمر بحسب الحاجة وبحسب ما تراه اللجنة المشرفة على المشروع من ضرورة .

#### سادساً: مؤسسة الدعم النفسي :

بسبب ما أصاب بعض المجتمعات العربية من إرهاب نفسي وتحطيم إرادة ؛ فقد كان من الضروري إنشاء مؤسسة مجتمع مدني خاصة بالدعم النفسي ؛ تركز على الافراد والاسر التي تعرضت للاعتداء بأنواعه المختلفة ؛ مما أدى إلى إعاقة أو ضرر تسبب عنه.

فتكون مهمة هذه المؤسسة أنها تقدم أفكاراً ثم تتبناها في البناء النفسي للمتضررين من أساليب الاعتداءات الارهابية أو الاغتصاب الذي تعرضت له بعض النساء. وأن تتبنى الدولة الدعم المالي كذلك لأمثال هؤلاء كواحد من الإجراءات التي تخفف وطأة الضغط النفسي. ويمكن أن تقوم المؤسسة بالتوعية من خلال المحاضرات واللقاءات الاعلامية، والحوارات مع الناس عبر الراديو أو التلفزيون؛ فضلاً عن عمل زيارات و لقاءات مباشرة مع الأفراد المتضررين .. وينصح طبعاً ان يكون المشرفون على هذه المؤسسة من الأطباء النفسانيين أو التربويين النفسانيين أو الأكاديميين ذوي الاختصاصات المقاربة.

#### مشروع كن مواطناً صالحاً لهذا العام :

مشروع يمكن أن تتبناه كافة المؤسسات الحكومية والمدنية ويدار من قبلها وتبناه، ويمكن أن تطرح أفكاره من خلال شبكات التواصل الاجتماعي .. برعاية شبكة إعلامية مهمة للمدينة .. ويتضمن هذا المشروع بناء تطبيقات المواطنة ومنظوماتها.

بناء منظومة المواطنة: انضمام كل مواطن ضمن مؤسسة من مؤسسات المواطنة.



مؤسسات المواطنة: 1. النقابات .. 2. مؤسسات المجتمع المدني .. 3. الدوائر الحكومية يمكن أن يكون لها دور كبير وأفضل من غيرها.

أعمال المواطن الصالح وقناعاته: العديد من الأعمال والقناعات لا بد للمواطن من معرفتها والاعتناء بها والعمل لأجلها منها:

1. حب الوطن والتحرك في الحياة بحسب هذا المنظور.
2. الأمثلية في الحياة (الحفاظ على الأمن والأمن المجتمعي - حب الناس - روح المساعدة - النظافة - إبعاد الأذى عن الناس والمجتمع - المشاركة في الانتخابات بما يخدم مشروع المواطنة وغيرها من أخلاق المواطن الأمثل).
3. تبني مفاهيم المواطنة والدفاع عنها ونشرها بين الناس مثل: (المواطن الصالح هو الذي يغير الواقع وهو من يمتلك طاقة عظمى قادرة على ذلك - اتحاد قوى المواطنة لدى أبناء الشعب تعني التغيير الحتمي - تفرق الشعب وخفوت روح المواطنة يسبب الفساد وظهور الفاسدين - مقاطعة الانتخابات تعني الاستسلام للفساد والفاسدين).
4. ويعلم أن (المواطنة) كالمارد المحبوس في صدورنا جميعاً ، فإذا استيقظ هذا المارد يكون الأمر حينها قد خرج من أيدي الفاسدين والعاثين بمقدرات وطننا، ويكون الشعب حينها هو المتحكم.
5. المجتمع المتحضر هو المجتمع الذي يحترم الزمن ؛ فاحترام الزمن واستثماره بأسلوب أخلاقي هو دالة التحضر المجتمعي وشرطه. ولهذا فإنه لا يمكن أن تقوم حضارة إنسانية إلا بهذا الشرط.
6. الشباب لهم ارتباط كبير بمشاريع النهضة .. لذا فإن مشاريع تنمية الشباب واحدة من أهم مشاريع المواطنة.
7. الانتماء إلى مؤسسات فاعلة حكومية أو نقابية أو مجتمع مدني أو غيرها كلها عبارة عن عمليات تنوية مجتمعية مهمة تمتلك قيادات وقرارات. وهي مشابحة للتنوية المجتمعية التي قدّمها (النظرية النبوية).



حول مشروع واعد لتنمية الشباب وحماية الهوية:

دور (اللغة) في (تنمية الشباب) محاولة في بناء مشروع تفضوي:

الإنسان مشروع لن يكتمل بوصفه مشروعاً متّجها نحو المستقبل ، مشروع حرّ مفتوح على إمكانيات لا نهائية ، فالإنسان: مشروع ، حرية ، تجاوز ، وثبة ، حركة ، فعل . فالإنسان ليس دالة منتهية بل هو غاية مفتوحة على كل جديد أو عصيّ على الوجود ، فعندما قال تعالى: (ونفخت فيه من روحي) ، فدلالة (من) هنا للتبويض بمعنى أن الطاقة الكونية قد أودعت سرّها فيه .

ولعل محورية الفكرة وبؤرتها وأهميتها تكمن في التأسيس العلمي لقضية التنمية الذهنية وانعكاس ذلك على الفكر والشخصية، بل جعلنا هنا فكرة التنمية الذهنية واللغوية محوراً لوجوه التنمية الأخرى جميعاً وأساساً تكوينياً للانطلاق إلى الفروع التنموية كلها ، معتمدين مقاييس الأمثلية ومحدداتها، ثم ليأخذ مكاناً علمياً مميزاً كواحد من الفروع المهمة والمراحل الرئيسة بين علوم التنمية .

فالإنسان طاقة متجددة يستطيع التكيف مع المتغيرات التي تحوطه أو تعترضه ، فقدترته على التكيف سمة مميزة تفرده عن باقي الكائنات وتجعله سيداً عليها وما ذاك إلا بتمايز العقل، فإذا أمكننا أن نوظف هذه القدرات فسنرى أنّ وجه الأرض سرعان ما يتغير ويأخذ منعطفاً جديداً يليق بها .

والفكرة تنتظم في خمس مراحل كلها ضرورية لبناء الشاب الواعي بمتطلبات المرحلة وضرورات الحضارة ، وهذه المراحل هي: ( الكلمة - اللغة - العلم - الأخلاق - الحضارة ) ؛ شغلت أدواراً متكاملة بانسجام تصاعدي تنظيراً وتطبيقاً . تبدأ مع الكلمة وتنتهي بالحضارة . إنّ الكلمة إشارة حرة مطلقة، فمن الممكن على اعتبار الإنسان كلمة فهو أيضاً إشارة حرّة، كما أنّ الأديان حين جاءت بالكلمة، في الإنجيل (في البدء كانت الكلمة)، وفي القرآن (اقرأ باسم ربك)، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) و(إن الله يبشرك بكلمة منه)، ثم إن قول الله كلمات لا تنتهي؛ قال تعالى: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) .. وعلى



هذا فالإنسان إشارة حرّة كما الكلمة مطلقة ليس له استعمال نهائي، بل تبقى تتجدد مع كل سياق يوظفها في تداوله اليومي ، كذلك الإنسان يتجدد مع تجدد الزمان.

حاولنا من خلال هذه الفكرة الوقوف على معطيات الإنسان في تفاعله مع الكلمة؛ ومجموع الكلمات تشكل اللغة ؛ أعني لغته الأم؛ باعتبار أن اللغة الأم هي الأداة إلى الفهم الصحيح والدقيق مما يغلق أبواب التأويل المنحرف المؤدي إلى التطرف البائس والانحراف الشائن، ومن ثم انعكاس القابليات اللغوية على التفاعلات الذهنية والفكرية وما يمكن اعتباره أنموذجاً وضرورة للتكوين؛ مستفيدين في ذلك من خصائص علم الأمثلية ومحدداته باعتباره المقياس الأهم الذي يعمل على بناء قناعات راسخة مستمدة من واقع الفرد والمجتمع على السواء، فيمكن أن نقف من خلال ذلك على العديد من مؤشرات ومقاييس الأمثلية المستنبطة من النظريات اللغوية والحديثة والتي يكون لها الأثر في قضايا تنمية الشباب، باعتبار أن دماغ الإنسان يتعامل مع قضايا اللغة العامة التي تطرحها المدارس اللغوية بالأساليب المنطقية نفسها التي يتعامل بها دماغ الانسان مع لغة وأساليب التنمية؛ فتكون مؤشرات الأمثلية ومقاييس اللغة متطابقة لدى طرفي النقاش، ومن هنا أيضاً تظهر جدوى دراسة معطيات المدارس اللغوية في تحليل ودراسة قضية تنمية الشباب لتحوز التنمية شمولية التطبيق على الشباب كلهم دون استثناء.

والأمثلية تهتم بإيجاد الحل الأمثل لكل مشكلة وتشكيل (النزعة الأمثلية) لدى الشباب؛ ويعني ذلك منحه القدرة على إيجاد الحلول الأصلح والأنسب في كل مشكلة؛ ويكون ذلك بمعرفة المعطيات والإمكانات الواقعية والمتاحة، ومن خلال مقاييس الأمثلية تكون فكرتنا هذه حول تنمية الشباب قد نُحت المنحى التطبيقي، والمزاوجة في الوقوف على عناصر الأمثلية بين جانبيين: (عناصر الأمثلية وقدرات العقل البشري)، و(عناصر الأمثلية في المدارس اللغوية).

أما المرحلة الثالثة (العلم) فهو استمرار للتنظير العلمي الذي عملنا عليه في المرحلة الثانية (اللغة) مع التحرك خطوة جديدة تجاه التأسيس لإقامة المشروع النهضوي فأطلقنا على هذه المرحلة بمرحلة التمتين ، فهو ينطلق من الأمثلية اللغوية والقدرة الحقيقية على فهم المعاني الصائبة إلى المعارف والعلوم والكشف عنها ومن ثم ربطها بعلاقة وثيقة بالحقائق الدينية فنكون بذلك عند المرحلة الرابعة (الدين) لنقف بعدها



على المشروع النهضوي من خلال ما قدّمناه أولاً في المراحل السابقة ثم من خلال طرح قضايا الوسطية والعقلانية والتجديد.

وبحسب ما ذكرناه يمكن تعريف التنمية الشبابية من خلال مشروعها النهضوي بأنها: (نظام تشغيل كامل في منظومة التفكير لدى الشاب ، يتفعل هذا النظام مع الكلمة الصائبة الصادقة وفق لغة دقيقة منضبطة تنطلق بالمفاهيم الدينية إلى تحقيق مناصب الرسالة بالوسطية والتجديد ومحاوله تطويق التطرف والغلو ومنع العنف، فتكشف للمتلقين عما يضمن لهم حياة سعيدة راقية، تؤهلهم للكشف عن السنن الكونية والتنافس البشري المحمود، وتحرك كافة الطاقات الانسانية المتاحة ، فيكونون بذلك سائرين وفق مشروع حضاري إنساني أصيل).



## الخاتمة

### الاستنتاجات والتوصيات

الخاتمة: الاستنتاجات والتوصيات:

وفي الختام فقد حاول البحث تقديم مفهوم المواطنة بما يحقق مشروعاً حضارياً للكون والحياة والإنسان. ولعلنا في هذا الصدد نقف على جملة من الاستنتاجات والتوصيات يخرج بها البحث ؛ نوجزها بما يأتي:

أولاً: الاستنتاجات:

كخلاصة لما قدّمناه في هذا الكتاب يمكن الوقوف على جملة من الاستنتاجات تم تقسيمها إلى جوانب عديدة هي كالآتي:

1. قدم البحث تعريفاً جديداً للمواطنة بأنها: [طاقة إيجابية كامنة يعيش المواطن بها؛ هي واحدة من أسرار الوجود البشري، وبها يُعرف بين أقرانه؛ تستلهم منها الأجداد والآثر، وترقى بها الحضارة والمدنية، وتنمو بها العلاقات الاجتماعية؛ وتتفعل من خلالها كل مغريات النمو والرقى والحضارة .. وتتفعل هذه الطاقة الكامنة من خلال الانتماء.. فيتكاملان في منظومة ؛ يمكن أن نطلق عليها: (المواطنة-الانتماء)].

2. أما الانتماء فقد وقف البحث على تعريف نوعي له فنقول: [إن الانتماء هو نظام تشغيل مكتنز أو كامن في عقل ووجدان الفرد يتفعل على هيئة مجموعة من الممارسات السلوكية صادرة عن الفرد نفسه للتعبير عن موقف تجاه ما يحدث حوله من قضايا مجتمعية].

3. الوقوف على (النظرية النبوية) في بناء الدولة باعتبارها الأنموذج الأول والأمثل في تاريخ الإنسانية كلها، وتحقيق قيم المواطنة باعتبارها واحداً من أهم ما قدمته الرسالة النبوية للإنسانية كلها.



4. اعتبرت دولة الرسول ﷺ في المدينة الإنسان الذي يعيش في هذه الدولة هو المحور الذي من تدور حوله قيم الحضارة في بناء الدولة، هو المقياس الحقيقي الذي لا يختلف عليه اثنان، فالدولة تقام من أجله ولأجله.
5. الوقوف على أسبقية دولة المدينة كأول دولة في التاريخ أخضعت نفسها سلطة وأفراداً للقانون، ومارس فيها الحاكم السلطة وفقاً لدستور مدوّن مصحوباً ذلك مع الإرادة الصادقة والأمانة العالية في إقامة ذلك الالتزام مهما كانت الظروف.
6. الوقوف على أن وثيقة المدينة عدت أول وثيقة دستورية مدونة في التاريخ ؛ سبقت دستور فيلادلفيا عام 1787م ، والدستور الملكي الفرنسي عام 1791م ، فدستور المدينة سبق هذين الدستورين المكتوبين بأكثر من عشرة قرون.
7. إن الوثيقة أسست لتصور يمكن استرجاعه في أي مكان أو زمان يكون فيه الناس مؤهلين لديمومة هذه الأجواء والشروط التي وضعها الرسول ﷺ فيها، فيكون للإنسانية أمودجاً جاهز الأركان والتفاصيل في بناء الدولة على أسس المواطنة.
8. ارتكزت النظرية النبوية على الاقناع الفكري، وهو الأسلوب الأمثل في تحويل قناعات الناس تحويلاً إيجابياً؛ بما يضمن الايمان بالقضية والدفاع عنها وتفعيل تطبيقاتها في الحياة.
9. تضمنت النظرية النبوية ما أطلقنا عليه بأسلوب التنوية المجتمعية: فقد عمل رسول الله ﷺ على توحيد هذا المجتمع على ثلاثة مستويات في التأليف المجتمعي والجمع وتكثيف الجهود حول نواة واحدة، تكون عملية التنوية نتاجاً فكرياً بالدرجة الأساس أي عن فكرة مقنعة.
10. عمل رسول الله ﷺ على تأسيس طبقة من السياسيين والقادة والإداريين ممن كان لهم صلة به ﷺ؛ فكان لهؤلاء دورهم الرائد في سياسة الدولة وإدارة شؤونها ؛ فقد شارك هؤلاء في الرأي واتخاذ القرارات وإعطاء المشورة ، وكان رسول الله ﷺ يمنحهم الفرص في كل أمور الدولة ، فقد كانت غايته ﷺ من ذلك إعداد جيل من صحابته قادرين على إدارة الدولة من بعده وديمومة الإسلام ونشره في عموم البلاد.
11. بوجود النبي ﷺ فقد كان هناك تداخل بين الدين والسياسة ؛ وكان للوحي وجوده في أمور الدين التي تبني عليها مواقف سياسية أو دفاعية أو اجتماعية أو غير ذلك.



12. إن مفردة (الأمة) التي وردت في (وثيقة المدينة) حقق من خلالها الرسول الكريم تحويلات فكرية مهمة (بحسب النظرية النبوية) ارتقت بفكر المتلقين إلى معاني الوحدة والتآزر والانسجام .
13. (الأمة) في وثيقة المدينة لم تقتصر على المسلمين وإنما شملت القبائل التي سكنت المدينة منطلقاً من مبدأ حفظ الإسلام لحقوق الآخرين في العيش بسلام والحرية في اعتناق الدين إذا ما التزمت هذه المجموعات والعشائر والقبائل بدورها بحسب وثيقة المدينة بالمواثيق والعهود التي وردت فيها.
14. استوعب النظام السياسي في المدينة بقيادة رسول الله ﷺ الفئات المجتمعة كلها مهما تنوعت وتعددت عقائدها وانتماءاتها ، وليس لأحد أن يفرض على أحد أسلوبه في العيش والاعتقاد، فكان الذي لا يؤمن برسالة محمد ﷺ - وهو رئيس الدولة- له أن يصرح بذلك وأن يطلب مناقشته أو مناظرته شخصياً أو مناظرة صحابته ومن يؤمنون برسالته دون أن يعترض عليه أحد أو يسيء إليه أحد ، وهكذا كانت الأمة بمثابة الإطار السياسي الذي تعيش فيه جميع الفئات ؛ وقد ارتضت هذه الفئات جميعاً أن يمثل الإسلام لها (فكرويةً الاطار) الذي تعيش فيه حياتها السياسية.
15. وركزت صحيفة المدينة على ما يسمى اليوم (بدولة القانون) التي يلتزم جميع أفرادها باحترام القانون، وعدم تناول أحد أفراد الأمة منطلقاً من قوة مادية أو معنوية .
16. أن دولة رسول الله ﷺ لم تعتبر اختلاف الأصول الجغرافية بين مهاجر وأنصاري عاملاً تفرقة أو تمييزاً، فالمؤمنون من قريش، والمؤمنون من أهل يثرب أمة واحدة، وهذه الرابطة الجديدة: (الأمة) مفتوحة لكل من تبعهم، ولحق بهم، واستعد لأداء الالتزامات الواجبة عليه؛ فجاهد معهم.
17. الدارس لدولة الرسول ﷺ يلحظ أنها قد فتحت الباب لإيجاد مجتمع قوي متماسك، حافظت فيه على كيان العشيرة والقبيلة بعد إعادة تهيئته لتكوّن وحدة الأمة، والتأكيد على مصلحة المجتمع الأساسية التي لها المكانة الأولى، وهي تسود على التكتلات الفرعية دون أن تلغيها.



18. إن إقامة المؤسسات شرط لا تنازل عنه في إقامة دولة المدينة وتنظيمها؛ فكان بناء المسجد الخطوة الأولى باعتباره المؤسسة التي يجتمع فيها رئيس الدولة بوزرائه، والقائد بجنده، و ثم أعقبته المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثم إصدار وثيقة المدينة .

19. إن أحد أهداف وثيقة المدينة كان متمثلاً بالحفاظ على الانسان وحقوقه، بغية أن تجد البشرية سبيلاً أفضل لحياتها. وقد عدتها كتب السيرة النبوية أول وثيقة حقوقية دستورية عرفها التاريخ ضمنّت الحقوق والحريات العامة.

### التوصيات:

وبعد الوقوف على جملة من الاستنتاجات كان من الضرورة أن نقف على توصيات محددة نجد أهمها ما يأتي:

1. دراسة المواطنة والتعامل معها كطاقة كامنة على المستويات كلها (الفردية والمجتمعية والأمية)؛ طاقة هائلة لا تعرف لها حدود، هذه الطاقة الكامنة تنمو وتتفعل بحسب السنن الكونية التي وضعها الله تعالى لها، م التي على الباحثين التنقيب والكشف عنها عند الفرد والمجتمع والأمة ؛ وهي نعمة كبرى جعلها الله تعالى نعمة شاملة للإنسانية كلها؛ بنى عليها الدين الحنيف الكثير من الأصول المجتمعية والنظم الأخلاقية؛ وجعلها الله تعالى ميداناً للأجر والثواب، يؤجر ويثاب أهلها على نياتهم.

2. اعتماد المواطنة كواحدة من أهم المشاريع النهضوية من خلال تفعيلها وتنظيمها وإدراجها كطاقة فاعلة في مشاريع النهضة التي تضمن تجاوز الأزمات المجتمعية ، وتؤسس لرؤية حضارية راقية بعد تجاوز الأزمات، فهي عامل إيجابي كبير لا يمكن تجاوزه وتخطيه في مسيرة الإصلاح والتجديد.

3. العودة إلى السيرة النبوية كمصدر رئيس في الكشف عن السنن الكونية في قضية المواطنة، وأسسها، وطرق تفعيلها، واستثمار طاقاتها، وتنشيطها، وتفعيل الأساليب النبوية كالتحويلية الفكرية والتنوية المجتمعية، وجعلها في منظومة علمية متخصصة في بناء المواطنة وتفعيلها لدى الشعوب.



## المصادر والمراجع:

Webster's ninth new collegiate dictionary , Merriam Webster Inc publishers , spring field , Massachusetts , USA , 1986 , P. 1243.

- إحياء التقاليد العربية، رفيق حبيب، دار الشروق، القاهرة، 2003. ص 93.
- أسس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، د.محمد عمر الشاهين ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، السنة الرابعة ، المجلد 4، العدد 2 ، 2009 ، كركوك (العراق) ، الصفحات 97-106.
- الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطة العثمانية ، كلود كاهن ، ترجمة حسين جواد قبيسي ، مراجعة د.علي نجيب إبراهيم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت (لبنان) ، 2010 م .
- أصح الكلام في سيرة خير الأنام السيرة النبوية ، د.علي محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الامارات العربية ، 2001م.
- الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، توماس هوبز ، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ط1 ، أبو ظبي ، 2011 م .
- الأقليات الدينية..سؤال العقل والمواطنة، عبد الحميد جماهيري، موقع على الانترنت.
- الأمة والجماعة والسلطة ، رضوان السيد ، دار إقرأ ، بيروت ، 1984م .
- الأمة والدولة في سياسة النبي (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين نزار عبد اللطيف الحديثي ، بغداد ، 1987م.
- الانتماء الفكري ودوره في تعزيز الانتماء للمجتمع والوطن ، زكية ابراهيم الحجي
- الانتماء ومضامينه الدلالية في البيئات الداخلية المعاصرة ، علاء الدين كاظم الإمام ، مجلة الأكاديمي ، جامعة بغداد، الإصدار 68 ، الصفحات 76-97.
- أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية، بدر بن ناصر البدر، مجلة الجندي المسلم، العدد (115)، سنة 2004م.
- برنامج مقترح لتدعيم إسهام مراكز الشباب في تعزيز قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، د.هاني جرجس عياد ، 2016 : <http://www.swmsa.net>
- تاريخ الدولة العربية ، يوليوس فلهوزن ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ، 1968 م .
- تاريخ النظريات الفقهية في الإسلام ، د.وائل حلاق ، ترجمة أ.د.أحمد موصللي ، مراجعة د.فهد بن عبد الرحمن الحموي ، دار المعرفة ، بيروت ، 2007م.



- تجديد الوعي ، سلسلة الرحلة إلى الذات ، أ.د. عبد الكريم بكار .
- التراث والهوية (موقع على الانترنت).
- التعايش في المنظور الإسلامي - صلح الحديبية أمودجاً ، م.د. عبد الستار جاسم محمد الحياني ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 8، الإصدار 3، الصفحات: 341-356.
- تفسير مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (544-604هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوي والسياسي ، عبد الاله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ، 2005 .
- تكوين المجال السياسي الإسلامي - النبوي والسياسي ، عبد الاله بلقزيز ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 ، 2005 .
- الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية ، حسن حنفي، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، 1998م، عمان(الأردن).
- الجامع لأحكام القرآن.
- جدلية العلاقة بين الهوية العربية والإسلامية.
- جواهر السيرة النبوية ، الشيخ قرني طلبه بدوي ، طبع بالأزهر ، ط 2 ، 1971 .
- حدود الهوية العربية ، نقد عام ، بيروت .
- حسن بن فهد الهويمل " :الثقافة وتحديات العولمة" ، مركز دراسة الحضارات المعاصرة، جامعة عين شمس، 2003.
- حقوق الانسان في وثيقة المدينة - قراءة معاصرة ، أزد.عاصم اسماعيل كنعان و م.د.حسين تركي عمير ، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية ، العدد الثاني ، حزيران 2012 ، الصفحات 174-197 ، ص 188.
- حكومة الرسول - دراسة تاريخية دستورية مقارنة ، د. هاشم يحيى الملاح ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 2002م .
- الحوار المتمدن-المجتمع المدني ، فتحي سيد فرج ، العدد 1588 ، 2006 .
- دراسات في السيرة ، أ.د.عماد الدين خليل ، الموصل ، 1983م.
- دراسات في النظم العربية الإسلامية ، توفيق سلطان اليوزبكي ، دار الكتب للطباعة، الموصل، 1988 .



- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام والعهد الإسلامي المبكرة ، خالد صالح العسلي ، بغداد ، 2002 .
- الدعوة الإسلامية وحياة البداوة ، د. شهلة إبراهيم عبد الله ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2007م .
- الدعوة إلى الإسلام، طالب ألب: 296 ، وهو منشور ضمن (الدعوة الإسلامية أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في كينيا، سنة 1402هـ) .
- الدكتور إبراهيم العلي في كتابه (صحيح السيرة النبوية)
- دلالة النص القرآني في القيم الأخلاقية وأثره في تعزيز روابط الوحدة بين المسلمين ، د. نضال حنش شبار ، مجلة جامعة تكريت ، جامعة تكريت ، الاصدار 12 ، الصفحات: 328-359 ، العراق ، 2012م .
- دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ، كامل سلامة القدس ، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1993م .
- الدولة في النظرية والتطبيق، هارولد لاسكي ، ترجمة أحمد محمد غنيم وكامل زهيري، دار النديم ، القاهرة ، د.ت.
- الدولة في عهد الرسول: تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة ، صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1969م .
- الرحيق المختوم ، الشيخ صفى الرحمن المبار كفوري ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، 1424هـ - 2003م .
- الروض الأنف ، السهيلي .
- رؤية مقترحة لإعادة تشكيل المواطنة في العراق الجديد ، د. عبير سهام مهدي ، المجلة السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية العراق ، 2010م ، الصفحات: 97-107 ، ص 99.
- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، د. محمود اسماعيل ، مكتبة مدبولي ، ط3 ، القاهرة ، 1408هـ - 1988م ، ص 29.
- السيرة النبوية ، ابن هشام (ت 218هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان ، مؤسسة المختار ، ط1 ، القاهرة ، 2005م ، ج2، ص 454-455.
- السيرة النبوية ، د. مصطفى عبد العاطي غنيمي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2005 .



- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري: 2001 .
- السيرة النبوية، ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى الباري ، القاهرة .
- السيرة النبوية، ابن هشام، بيروت: دار الجيل ، 1975.
- الصحيفة النبوية – مبادرة رائدة للدستور المدون ، د.منير حميد البياتي ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد 25، شباط 1979م .
- صراع الهويات، وخصائص الهوية الإسلامية، منشور في موقع الشبكة الإسلامية على الانترنت (إسلام وب) .
- عالم الإسلام، حسين مؤنس ، دار المعارف، مصر .
- عبد الخالق، نيفين، مجلة المسلم المعاصر، 1995، عدد 77 ، ص 104.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، ط5، 1377هـ-1958م، القاهرة(مصر) .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد ابن سيد الناس ، القاهرة ، 1356 هـ.
- القاموس المحيط، مادة دسعة، الفيروز آبادي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987.
- قاموس المورد ، بعلبكي: 2002.
- قاموس علم الاجتماع ، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995 .
- قاموس لاوس ، الجر ، 1973.
- قراءة في مفهوم الانتماء الوطني ، د.عبد الله بن ناجي آل مبارك، جريدة الرياض.
- كتاب الأموال ، أبو عبيد القاسم ابن سلام (ت 224هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، 1353هـ.
- ما هي وثيقة المدينة أو معاهدة المدينة التي كانت بين الرسول واليهود ؟ ، د. راغب السرجاني ، موقع ألكتروني.
- مبادئ القانون الدستوري والنظم السياسية ، د.كمال الغالي ، مطبعة جامعة دمشق ، ط2 ، 1967-1968م .
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله .
- المحبر ، أبو جعفر ابن الحبيب ، بيروت ، 1361هـ .
- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، القاهرة ، 2004م .



- محمد رسول الله ، محمد الصادق عرجون .
- محمد وأول دستور للدولة الإسلامية ، د.محمد عمارة ، (بحث منشور ضمن كتاب: محمد نظرة عصرية جديدة)، بيروت ، 1985م .
- معالم الشخصية الإسلامية ، عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط7 ، 1421هـ-2000م، عمان (الأردن) .
- معجم مصطلحات التربية لفظا واصطلاحا، أحمد عبد الفتاح الذكي ، وفاروق عبده فولية ، دار الفواء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 .
- المغازي ، الواقدي (ت 207هـ) ، عالم الكتب ، بيروت .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، بيروت ، د.ت. .
- المنهج التربوي العالمي ، مجدي عزيز ابراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2001م ، القاهرة (مصر) .
- منهج القرآن الكريم في تثبيت الأخلاق الإسلامية ، أ.م.د.أنس عصام الزبيدي ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، السنة 2014م ، الجزء الأول، الاصدار: 28 ، الصفحات: 197-215.
- المواطنة في الإسلام ، موقع الانترنت.
- المواطنة في الأفق السياسي للسيرة النبوية،عبد الجبار النجار، موقع على الانترنت
- المواطنة وتعزيز قيم الانتماء والولاء ، نعم النعمة ، موقع انترنت
- المواطنة-جمعية المشعل للثقافة والفن ، محمد شخمان.
- ندوة هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق، د.محمد إسماعيل المقدم، مجلة البيان اللندنية، العدد 128 ، 1998م .
- نشوء الفكر السياسي الإسلامي من خلال صحيفة المدينة ، خالد بن صالح الحميدي ، دار الفكر، بيروت ، 1994م .
- النظام السياسي في الإسلام ، د. محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان ، ط3 ، الأردن ، 1409هـ .
- الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د.عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول ، الاصدار 28 ، العراق ، 2014 ، الصفحات: 37-64 .
- الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، أ.د.عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق ، مجلة كلية الإسلامية الجامعة، الجزء الأول ، الاصدار 28 ، العراق ، 2014 ، الصفحات: 37-64 .



- الهوية القومية العربية ، د.عفيف البوني ، المستقبل العربي ، العدد 57 ، بيروت ، 11 / 1983.
- الهوية الوطنية في الدولة العراقية الموحدة دراسة تحليلية-تاريخية في الدستور الملكي والدساتير العراقية المؤقتة ، م.د.عدنان قادر عارف زنكنة ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، مجلد 9 ، عدد 2 ، 2014.
- الهوية بين الجوهري والمضاف ، علي عقله العرسان ، منشور في صحيفة الوطن العمانية في 2002/6/15م.
- الهوية وأزمة الانتماء ، علاء جابر أحمد ، المجلة السياسية والدولية، الجامعة المستنصرية، الاصدار 8 ، الصفحات 179-196 ، 2008 م .
- الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي، ترجمة سحر توفيق، سلسلة عالم المعرفة، العدد 352، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو 2008. ص 18. نقلاً عن: د. فرغلي هارون، رابط الموضوع: <http://www.alukah.net/social/0/91803/#ixzz45ceSMu6B>
- وثيقة المدينة -الدولة طبيعتها ووظائفها- ، أ.م.د. مهدي صالح العبيدي ، مجلة العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 2012 ، إصدار 44 ، صفحات 293-308.
- وثيقة المدينة وأهم الأسس الإدارية التي تضمنتها لبناء الدولة الإسلامية، د.حاتم كريم جواد يعقوبي، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة ، مجلد 1 ، إصدار 11 ، العراق ، 2012 .
- الوثيقة النبوية والأحكام الشرعية المستفادة منها ، جاسم محمد راشد العيساوي ، رسالة ماجستير ، مكتبة الصحابة، الامارات ، 2006 م ، ص 135.
- الوسيط في أحكام القرآن ، د.عبد الحميد الجياش ، دار النهضة العربية ، ط 1 ، بيروت ، 1430هـ - 2009 .
- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، د. هاشم يحيى الملاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2007م.
- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، مطبعة المجمع العلمي ، الموصل ، 1991 .
- الوطن والوطنية في ميزان الشريعة الإسلامية ، أ.د.عجيل جاسم النشمي ، موقع على الانترنت.

# المشروع النبوي

## في المواطنة وبناء مجتمع السلم

الانسان محور الحياة، وطاقة التجدد والبناء، وهو فلسفة الوجود كله، خلقه الله مكرماً، فقال تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً] [الاسراء: 70].

أعطاه الله القدرة من بين المخلوقات كلها على أن يحيى في وطن، يقر له بكل مشاعر الحب، ويحفظ له كل مكنونات الكرامة، يقضي حياته معه منافحاً مدافعاً لا يكل ولا يمل، يمتلك تجاه وطنه طاقة إيجابية كامنة يعيش بها؛ هي واحدة من أسرار الوجود البشري، وبها يُعرف بين أقرانه؛ تستلهم منها الأمجاد والمآثر، وترقى بها الحضارات والمدنية، وتنمو بها العلاقات الاجتماعية؛ وتتفعل من خلالها كل مغريات النمو والرقى والحضارة؛ إنها (المواطنة).

هذا الكتاب تضمن مدخلاً وثلاثة فصول، تناولنا تعريفات المصطلحات في مدخل موسع لبيان مصطلحات (المواطن، المواطنة، الانتماء، الهوية).

